الثقافة

مجلة ثقافية أدبية تصدر في دمشق

صاحبها ورئيس تحريرها

مدحة عكاش

آب
١٩٧٧

دمشق ـ ص٠ب (٢٥٧٠) هاتف ٢٢٩٩٨٤

دمعة على الصافي النجفي

في الشهر الفائت ودعت الامة العربية شاعرا من أكبر شعرائها الى مثواه الاخير ٠

لقد مات « أحمد الصافي النجفي » ، مات الشاعر الذي كرّس عمره كله لشعره وفنه ، أجل لشعره الذي ملأ الدواوين العديدة ولفنه وقد كان فيه منفردا لم يستطع أن يجاريه فيه شاعر وفنان ٠٠

لقد غنّى للطبيعة وجمالها كأحسن ما يغني العاشقون ، وبكى آلام الناس وبؤس البائسين كأصدق ما يبكي الشاعر المرهف الحس ، عاش للناس ولمجتمعه بأفراحه وأحزانه وقد أعطى الكثير الكثير دون أن ينال من دنياه الا القليل القليل ، فهو الانسان الذي ولد شاعرا وعاش شاعرا ومات شاعرا ، ألف الغربة وألفته وأحب دنيا العرب وأحبته ، احتضنته « دمشق » وحنت عليه «بيروت» سنوات طوالا واحتضن جثمانه ثرى العراق في آخر رحلة الحياة ٠

ففي ذمة الله أحمد الصافي النجفي وفي ذمة الادب ما ترك من روائع فنه وشعره ، وفي ذمة الوفاء ما يربط مجلة «الثقافة» به من صداقة كانت شفيعا للاعتزاز ومدعاة للفخر ٠٠

رئيس التحرير

من تراثنا العربي المعاصر

محمد الوالد

أحمد حسن الزيات

تخطفت المنايا السود فلذات الرسول بنات بعد بنين، فلم يبق الا فاطمة قرة لعينه وعزاء لنفسه . وكانت جراحات القلب العظيم لا تجد لمسها الممض فراغا بين آلام الرسالة فتندمل في سكون وصمت . فلما عنت سورة الشرك في مكة ، وعلت كلمة الله في الجزيرة ، وتحققت وحدة العرب في الوجود ، وأخذت نفحات السلام الالهي تنضح الجو المشتعل بالنار ، وتطهر الثرى المخضوب بالدم، تنبهت في الانسان الاعلى مشاعر الطبيعة ، وتجددت في العربي الرسول عواطف الابوة ، وحز في نفس محمد أن يرى أمهات المؤمنين يعقمن عشرة أعوام متتابعة ، فبيوتهن التسعة حول المسجد المهلل الذاكر غرقى في السكون الرهيب والصمت الموحش ، لا يؤنس حجراتها غناء المهد ، ولايبهج أفنيتها مرح الطفولة .

لا ريب أن أسرة محمد الرسول شملت جزيرة العرب كلها ، وستشمل عالم الاسلام أجمع ، ولكن أسرة محمد الرجل لا تزال ألما من آلام العبقرية ، ومحنة من محن البطولة . تدرع باسم الله وبرز وحده لشياطين الارض ، فجاهد الوثنية حتى أقر الحق ، وعالج الانسانية حتى أعلن الخير ، وشذب الطبيعة حتى أنمى الجمال ، وبلغ الرسالة حتى لم يبق لرضى الله غاية لم تدرك ، ولا لصلاح الناس سبيل لم تشترع . ولكنه هدف للستين في جهاد الشرك والجهل والهوى ، ولا يزال يجد في جوانب نفسه الكبيرة عاطفة لم ترض ، وحاجة لم تقض ، ورسالة لم تتم ! تلك هي عاطفة القلب للولد ، وحاجة النفس الى التجدد ، ورسالة الحياة الى الحياة .

★

بين ظلال النخل والكرم ، وفي بيته المصري على

العالية من ضواحي المدينة ، أتم الله نعمته على رسوله فوهب له على الكبر ابراهيم ، يومئذ تنفس الصبح بأنفـاس الفردوس ، وضاحكت الشمس خمائل يثرب من خلال الاجنحة النيرة ، ومست يد الربيع المخصبة دوحة النبوة ، وغرقت نفوس المؤمنين في مثل صفاء الخلد ، وأقبل المهاجرون والانصار على المسجد المستبشر يهنئون النبي بالخليفة الوليد ، والامل الجديد ، والعوض المبـارك ، ونهض الرسول الوالد الى بيت مارية القبطية ليرى نعمة ربه ، وبضعة كبده ، فوجد في طلعة ابراهيم الانس الذي يعوزه والرضى الذي يرجوه ، والخلف الذي يتمثله ، ففاضت غبطته لله حمدا ، وعلى المؤمنين بركة ، وفي الفقراء صدقة ·

رفع أمه الى مقام أزواجه ، ونفح مرضعته بسبع من المعزى سمان يحلبن عليها وعليه ، ثم عق له بكبشين أملحين ، وتصدق بزنة شعره فضة ، وتعود كل صباح أن يزور أم ولده ، فيحمله منها ليضمه ويشمه ، ويتذوق طعم السعادة الارضية في ريحه ، ويطالع نفسه العائدة في نفسه ، ثم يدخل به على الامهات اللائي ولدن جميع المسلمين ولم يلدن ، فيباهي بحسنه ، ويغتبط بنموه ، ويحتمل راضيا في سبيل ذلك كله غيرة حميرائه وكيد نسائه ·

★

ولكن أنبياء الله موضع بلائه وسر حكمته ! دعوتهم الحق، والحق ثقيل ، وعدتهم الصبر والصبر كليـل ، وبرهانهم الالم والالم قاتل ! غرباء في الارض لانهم من السماء ، وأغراض لسهام القدر لانهم ضحايا ، وأمثلة لبؤس العيش لانهم عبر !

هذا ابراهيم حبة قلب أبيه وسواد عين أمه مسبوتا على فراش الموت تحت النخيل ، تذوي نضارته على وهج الحمى ، وتذوب حشاشته على عرك الموت ، وأمه وخالته قائمتان على سريره تشهدان منظرا يهون في جانبه علـى الوالدين الجنون والكفر والعدم ! وهذا أبو ابراهيـم يضعضعه النبأ المروع ، فيتحامل على عبد الرحمن بن عوف ويمشي ثقيل الخطى لهيف الفؤاد ، الى الصغير المحتضر ! لو كان لمتاع العيش غناء لتقلب فيه المؤمن ، ولو كان لقانون الموت استثناء لافلت منه المصلح ، ولو كان في قلب الثاكل المحزون شبهة لجلتها محنة الله ورسوله ·

أخذ النبي ابراهيم من حجر أمه فوضعه في حجره ، ثم نظر من خلال الدمع الى قسماته المشرقة تغشاها ظـلال الموت ، وقال بصوت متهدج وفؤاد متأجج واستسـلام مطمئن : « انا يا ابراهيم لا نغني عنك من الله شيئا » ·

يا لله لقلوب الوالدين ! ان النبي الذي ولد في مهد اليتم ، ودرج في حجر العـدم ، وتقسمت عمره عوادي الخطوب ، فكابد أذى قريش وحقد المنافقين وكيد اليهود ، وعالج مكاره الدعوة من القلة والذلة والهزيمة والفتنة ، قد احتمل كل ذلك بصبر المجاهد ويقين المؤمن وعـزم الرسول ، ويصيبه الله في ابراهيم وهو رضيع فيرفض عنه الصبر ، ويتملكه الجزع ، ويقف من الثكل الاليم موقف كل والد يرى جزءه الجديد يبلى ، ورجاءه الناشىء يخيب ، ثم يقول : « ان العين لتدمع ، وان القلب ليجزع ، وانا بعدك يا ابراهيم لمحزونون · أما والله لولا أنه أمر حق ، ووعد صدق ، وان آخرنا سيلحق بأولنا ، لحزنا عليك بأشد من هذا » · وينال من الصحابة حزن الرسول فيتقدمون اليه يذكرونه ما نهى عنه فيقول : « ما عن الحزن نهيت ! انما نهيت عن العويل · وان ما ترون بي أثر ما بالقلب من محبة ورحمة · ومن لم يبد الرحمة لا يبدي غيره عليه الرحمة » ·

على أن حزن الرسل لا يكون الا بمقدار ما فيهم من ضعف الانسان · لذلك لم يلبث الرسول أن عاد الى نفسه فصلى على ولده ، وسوى عليه القبر بيده ، ثم رش فوقه الماء وأعلم عليه علامة وقال : « انها لا تضر ولا تنفع ، ولكنها تقر عين الحي ، وان العبد اذا عمل عملا أحب الله أن يتقنه » ·

★

تعزيت يا رسول الله لان الالم سبيل من سبل دعوتك والعزاء أصل من أصول دينك ، والارض وما عليها أهون من دمعك ، والسماء وما فيها ثواب لصبرك ، ولكن ماذا يصنع البائس المحزون اذا فقد الرجاء ، وليس له في يومه صبر ولا في غده عزاء ؟·

عبرات الخنساء ونظرات بنت الشاطئ

سعيد الجزائري

تذكر الكتب الادبية ، وتؤكد الوقائع والاسناد ، وأجمع الرواة على أن رجلا من المفتونين بالشعر والشعراء جاء الشاعر « جريرا » وسأله قائلا :

ـ من هو ، في رأيك ، أشعر الناس ؟

٠٠ وما انتظر الشاعر المسؤول ، ما فكر ، ما تردد، أبدا ، في أن يرد على السؤال ، كان جوابه في فمه ملء فمه، وقال :

أنا ٠٠ أنا أشعر الناس ، لولا الخنساء ٠٠

فمن هي « الخنساء » هذه ؟ ٠٠٠ هذه التي أخضعت من كبرياء الشاعر الجبار الذي قارع جبارين ، نظيرين له ، من شعراء العرب ، وانتصر عليهما معا ، واحدا بعد الاخر ، في معارك شعرية وأهاج ونقائض ، لعلها في الشعر العربي ، قديمه وجديده ، أقوى ما دار من حوار قاس ، موزون مرموق ، بين سادة المعاني وأرباب المباني ، في عصر زاه زاهر من عصور العروبة والاسلام والتاريخ ٠٠ هذان الشاعران هما الاخطل والفرزدق ، وقد قال جرير فيهما وفي أضرابهما ، في جملة ما قال :

أعد الله للشعراء مني

صواعق ، يخضعون لها الرقابا

من هي « الخنساء »هذه ، التي جرت شاعريتها شاعرا كجرير الى الاعتراف بأنها أشعر منه ، وهو الرجل ، وهو الشاعر الذي هيأته الاقدار ، في رأيه ، ليزحم فحول الشعراء الذين عاصروه ، ليقص من أجنحتهم ، وهي المحلقة ، بالهجاء المر ، بالمجابهة أحيانا ، وبالغمز واللمز حينا ، وبطول اللسان :

قال في هجاء « الاخطل » وقبيلته :

ان الذي حرم المكارم تغلبا

جعل الخلافة والنبوة فينا

وقال في هجاء « الفرزدق » وقبيلته :

هو الرجس ، يا أهل المدينة ، فاحذروا

مداخل رجس ، بالخبيثات عالم

لقد ولدت أم الفرزدق فاسقا

وجاءت بوزواز ، قصير القوائم

٠٠ثم بهت الرجل الذي سأل جريرا من جوابه الذي ألقاه عليه :

ـ يا هذا ٠٠ الخنساء أشعر مني

مرة ثانية وأخرى ثالثة ٠٠ من هي هذه الشاعرة التي وقف « جرير » أمام هيكلها ، وأدى ، في الخشوع

الشعري ، صلاة الاعتراف ؟ ٠٠٠

قبل جرير ، في الجاهلية العربية الشعرية ، كما جاء في كتاب « الشعر والشعراء » لابن قتيبة ، في تحقيق « محمود محمد شاكر » وشرحه : ـ نصبت للنابغة الذبياني قبة من أدم ، في سوق عكاظ ، سوق الشعر والموسم والتسابق الى ذيوع الاسم وخلود الشهرة ، فما من مهرجانات أدبية فنية وما من اعلام ٠٠ وفد الشعراء يعرضون بضاعتهم ، يقدمون قوافيهم ومعانيهم ، شكلهم ومضمونهم ، على الحكم المتربع سعيدا ، في صدر القبة المضروبة ٠٠ كان « الاعشى » أول الوافدين الذين أنشدوا ، غنى فأحسن الغناء ٠٠٠ وجاء « حسان بن ثابت » ، وجاءت « الخنساء » وأصغت الى « الحكم النابغة » » يقول لها :

ـ لولا أن الاعشى أنشدني لقلت انك أشعر الانس والجن ٠٠٠

وألقى حسان السمع ، فلم يطق أن يصبر على الحكم والحَكَم ، وجبه النابغة ، قائلا :

ـ والله لانا أشعر منك ومن أبيك ٠٠

الى آخر ما جاء في ذلك الحوار الثائر ، المسموع المشهود ، فمن هي هذه الشاعرة ، في التاريخ ، في الادب العربي ؟٠٠ ان الذين كتبوا عنها ، في الماضي والحاضر ، عدد كبير ، منهم ـ قدرية حسين ـ في كتابها ـ شهيرات النساء في العالم العربي ـ وفؤاد البستاني في مجموعة ـ الروائع ـ ، وفلك طرزي في ـ مجلة دمشق ـ ، ثم الدكتورة ـ بنت الشاطىء ـ في مجموعة نوابغ الفكر العربي ، وقد ردت على الرد عليها في الكتاب الذي ألفه اسماعيل القاضي وسماه ـ الخنساء في مرآة عصرها ـ ٠٠ وفي الحق أن بنت الشاطىء قد أعطت الشاعرة الجاهلية التي أسلمت كل العناية ، وفي الانصاف الموضوعي لهذه الشاعرة العربية أن تستوي في الدراسات الادبية والتحقيقات التحليلية موضع الاهتمام البالغ ، البليغ ، لدى الاجيال العربية المتعاقبة ، كما كانت ٠٠ كما استوت في جاهليتها ، في عشيرتها العريقة ٠٠ انها من مضر من بني سليم ، طبع ديوانها ، أول ما طبع ، قبل تسعين عاما ، تقريبا ، وترجم الى اللغة الفرنسية ، وعني به ، كما قال حنا الفاخوري ، الاب لويس شيخو اليسوعي ، وطبعه ، ثلاث مرات ، في ـ طبعة مدرسية مختصرة ـ عنوانها « أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء » ٠٠ «تماضر بنت عمرو بن الشريد»

٠٠ وقد مضت بنت الشاطىء في اللحاق بأثرها ، من خطواتها الاولى ، في أسلوب بين السرد الموفق في الاداء السهل وبين الفن القاص ٠٠ لم تقف طويلا ، عند تحديد العام الذي أطلت فيه الشاعرة على عالم الجزيرة العربية ، وأشارت الى تعاليها ، في قومها ، بل الى علوها ، ولقد دفعت بها ثقتها بشخصيتها الى أن ترفض أول من تقدم اليها يطلب يدها ، وهو ـ دريد بن الصمة ـ الشاعر الفارس ٠٠ وتمضي الدكتورة بنت الشاطىء في كلامها على الحوار الذي دار بين دريد وبين عمرو ، والد الخنساء تماضر ، التي قالت له :

ـ أنا لا أتخلى عن بني عمي ٠٠٠

وما تخلت ٠٠ وكان ـ رواحة بن عبد العزى ـ زوجها الاو ل٠٠ وقفت المؤلفة عند كل مصدر في التاريخ العربي وفي الادب ٠٠٠ تحاول أن ترفع كل ستار في حكاية الشاعرة التي شغلت الاذهان والاقلام والرواة ، في الادب العربي الجاهلي ، وبالشعر منه بصورة خاصة ، حتى لقد طغى اسمها ، لقبها ، على شاعرات في العرب ، ربما كن أو كان بعضهن أقوى شاعرية وأرقى موهبة منها ٠٠٠ فهل في الوسع أن نضعها في ـ الطبقة المحظوظة ـ ، أم هي ، في واقعها الشعري ، يجب أن تعد ـ المرموقة ـ ، كما هي في الحقيقة التي انصرف اليها اهتمام المهتمين بالقضايا الادبية الشعرية ٠٠٠

على أية حال ، يمكن القول انها ما وقفت في الصف

المغمور أبدا ٠٠ ربما لانها لزمت الخط الباكي ، صحبت العبرات والنكبات ، فكانت ، هي ، المراثي وشعر المراثي ٠٠

يذكرني طلوع الشمس صخرا
وأذكره لكل مغيب شمس
ولولا كثرة الباكين حولي
على اخوانهم لقتلت نفسي
وما يبكون مثل أخي ، ولكن
أعزي النفس عنه بالتأسي
فلا ، والله ، لا أنساك حتى
أفارق مهجتي، ويشق رمسي
فقد ودعت ، يوم فراق صخر
أبي حسان، لذاتي وأنسي
فيا لهفي عليه ، ولهف أمي
أيصبح في الضريح، وفيه يمسي

تترقرق العبرات في عيني الاخت الثكلى ، تتوالى ٠٠ تذهب وتعود ، أولا تذهب ، معبرة عما في الصدر من لوعات ، تترقرق كالعبرات وتتوالى ٠٠ وقد لا يكون الا التكرار ، يعيد نفسه ولونه ، ويكاد أن يعيد حتى الالفاظ ٠٠ ومع هذا كله ، دخلت الشاعرة عالم الخلود الشعري، بين الشاعرات العربيات وبين الكثيرين من الشعراء ٠٠٠ هذه حقيقة لا ريب فيها ، في كتب التاريخ في الادب العربي ولدى الذين أقبلوا على التطلع الجيد في دراستها من المستشرقين ،

وهنا ، مع هذا القول ، قبل هذا القول ، ترى — بنت الشاطىء — المبرر لاستمرار — الخنساء — في — مقعدها — الدائم الملحوظ على صفحات الاسفار الادبية، وفي اجماع النقاد على تجاوز التكرار والاعادة في نفسها ونفسها — بفتح الفاء في الكلمة الاولى وفي جزمها في الكلمة الثانية — وفي لونها ، وفي ألفاظها ٠٠٠ ترى الكاتبة المؤلفة الناقدة المبرر ، وتقول :

— وبعد ٠٠ فاذا كان ما شاب مراثي الخنساء المتأخرة من تكلف وتكرار قد جنى على الشاعرة ، فان ضيقنا به لا ينبغي أن يتجاوز مداه ٠٠٠ لا ينبغي أن يحرم الخنساء حقها في التقدير المنصف ، فلنا أن نقول أن الخنساء قد ازدهاها اعجاب القوم بمراثيها ، واستمرأت طعم التغني بأشجانها ، فراحت تنكأ جراحها عامدة ، وتجهد قريحتها لتسعفها بجديد من المراثي في صخر ، بعد أن بعد به العهد ، بعد أن تراخى الزمن ، وألجأها هذا الى تكرار ألفاظها ومعانيها ٠٠ وما كان لنا أن ننتظر أن تنجو من مثل ذلك، اذا قدرنا كثرة مراثيها من ناحية ، وقصرها على — صخر — في الفترة الاخيرة من ناحية أخرى — ٠

وتقول — بنت الشاطىء — أيضا :

— بقي للخنساء ، مع ذلك ، ما يكفي لان يحفظ لها مكانها المرموق ، بين شعراء العربية ، وبحسب الناقد المنصف أن يتجاوز عن المكرر المعاد من شعرها ليجد الخنساء بعده ما يغنيها عن مزيد ٠٠ —

★ ★ ★

بعد هذا التبرير ، بعد هذه الدعوة ، المعبرة عن الحب الكبير ، لا بد من الاعجاب باعجاب — بنت الشاطىء — بالشاعرة التي احتلت ، من الجاهلية وموسم عكاظ الى الاسلام ، ما احتلته من تقدير وعطف واحترام ٠٠٠ وفي الرأي البعيد عن رأي — بنت الشاطىء — ، وآراء طائفة غير قليلة من أولئك الذين مارسوا لعبة النقد الادبي في التاريخ العربي ، أن هذه الشاعرة قد احتواها عطف غامر، خرج بأهل الحكم ، في الشعر والشعراء عن دائرة العدل ٠٠ ان حكم النابغة لها على حسان بن ثابت ، وان حكم جرير لها ، حتى على نفسه وشعره ، عندما قال لسائله : — أنا أشعر الناس لولا الخنساء ٠٠٠ ان هذين الحكمين من الشاعرين المفلقين : النابغة وجرير ٠٠ هل كانا ٠٠٠ هل جاءا في صميم الانصاف الفعلي للشاعرة الثكلى ، وهذا ما قد يستبعد منهما ، وهما هما في التفوق والتسامي ، في

وقت معا ، ولا سيما – جرير – الذي يذكر الادب والادباء والشعر والشعراء الى أي مدى ، الى أية سماء في الفخر والاستعلاء بلغ في معانيه الخصبة وفي مبانيه السهلة الممتنعة ، وهو يضرب ، باليسار وباليمين ، منافسيه ومعاصريه ، في تلك الحقبة من التاريخين العربي والاسلامي ... أما كان ، أولئك المنافسين المعاصرين ، الجبلان الشامخان ، الاخطل والفرزدق ،... حكما جرير والنابغة هل هما منصفان عادلان ؟.. أم هما نفحات عطف على المرأة الشاعرة لانها ملكت من أمرها ما مكنها من أن ترفض سيدا في قومه ، يومئذ ، أن يكون بعلا لها .. وملكت من أمرها ما أهاب بها الى أن تقول لابيها لا .. وهو السيد المطاع في عشيره وأهله .. في الوقت الذي كانت الفتاة العربية ، في الجاهلية العربية ، تموت وأدا ، سترا «مسبقا» لما قد يحتمل أن تأتي به من عار .. توأد قبل أن تبلغ أشدها .. و « اذا الموؤودة سئلت بأي ذنب قتلت » ؟...

★ ★ ★

هذه أسئلة ، حول الشاعرة الخنساء في هذه المواقف، طرحها النقد الادبي، طويلا، في الكثير من ميادينه ومطارحه، وما تزال مطروحة حتى يوم الناس هذا ... والنقاد الذين يأخذون على « بعض الاحكام العكاظية » مجاملات و – مسايرات – لشعراء دون شعراء ، وفيهم الخنساء ، ما يلبثون أن يلقوا عليها ، وعلى شعرها ، وعلى سيرتها التاريخية في الادب العربي ، تحيات العطف والاشفاق ، قبل تحيات التقدير لها ، كامرأة عربية موهوبة ، أخذت طريقها الى الشهرة، في التاريخ الادبي، في مثل تلك الشجاعة التي بكت وتبكي ..

قذى بعينك أم بالعين عـــوار
أم ذرفت ، اذ خلت من أهلها الدار
كأن عيني لذكراه ، اذا خطـرت
فيض يسيل على الخـدين مدرار
تبكي «خناس» فماتنفك، ماعمرت
لها عليه رنين ، وهي مفتـــار
تبكي«خناس»على صخر، وحق لها
اذ رابها الدهر ، ان الدهر ضرار
وان صخرا لوالينـــا وسـيدنا
وان صخرا ، اذا نشتو ، لنحار
وان صخرا لمقدام ، اذا ركبوا
وان صخرا ، اذا جاعوا ، لعقـــار
وان صخرا لتأتم الهداة بــــه
كأنــه علم ، في رأســـه نار

★ ★ ★

.. ومن جديد ، تتثاءب الاسئلة على الشفاه ، تتساءل عن قصة الشهرة الذائعة ، وقد تعالت الخنســـاء معها ، فيما قيل وكتب ، على الشــاعرات العربيات في الماضي والحاضر واليوم ، فالنقاد والكتاب والادباء مـا يزالون في ميادين السباق ، في الكلام عليها ، في الرجوع الى تاريخها الشعري والمأساوي .

★ ★ ★

يقول بعض الباحثين ان السر في تعلق الدكتور طه حسين بأبي العلاء المعري يكمن في أن بلاء واحدا، هو العمى، جمع بين الرجلين العربيين الممتازين ، فهل من الطوق أن نقول ان العاطفة المشتركة ، في الجنس الواحـد ، بـين الخنساء تماضر بنت عمرو بن الشـــريد وبين – بنت الشاطىء – عائشة عبد الرحمن هي ما دفعت بالمثقفـــة [العـ]ربية المعاصرة الى القاء المحاضرات وتأليف الكتب عن [الخـ]نساء ...

وانه ليسعدني بأن أعتر[ف] ... [هـ]نا ، في خاتمة هـــذا الكم على الشاعرة الثكلى ، بأنني كنت في [...] من [ب]اب جليل ، مداده الدموع ، وموضوعه هو الشخصية القوي في المرأة العربية ، والوفاء الصادق في الرثـــاء الصاد[ق] .

دمشق : سعيد الجزائري

قصّة قصيرة

نزار قباني

١

لا تقنطي أبدا من رحمة المطر ·· فقد أحبك في الخمسين من عمري

وقد أحبك والاشجار يابسة والثلج يسقط في قلبي وفي شعري

وقد أحبك حين الصيف غادرنا فالارض من بعده تبكي على الثمر

وقد أحبك ـ يا عصفورتي ـ وأنا محاصر بجبال الحزن والضجر

قد تحمل الريح أخبارا مطمئنة لناهديك ، قبيل الفجر ، فانتظري

لن تخرجي من رهان الحب خاسرة عندي تراثي ، وعندي حكمة الشجر

فاستمتعي بالحضارات التي بقيت على شفاهي ·· فاني اخر الحضر

٢

قرأت شعري عليها ·· وهي نائمة فما أحست بتجريدي ولا صوري

هززتها من ذراعيها · فما انتبهت ناديت يا قطتي البيضاء·· يا عمري

قومي سأهديك تيجانا مرصعة وأشتري لك ما في البحر من درر

وأشتري لك بلدانا بكاملها ·· وأشتري لك ضوء الشمس والقمر ··

٣

ناديت·· ناديت··· لكن لم يجب أحد في مخدع الحب·· غير الريح والمطر ··

وكان ليلي طويلا مثل عدته ·· وكنت أبكي على قبرين من حجر ··

أشكال القصيدة العربية

في العصور المتأخرة

د. حسين نصار

● اتبع شعراء هذه الحقبة الاشكال الشعرية التي سار عليها أسلافهم ، ولم يبتكروا شيئا جديدا غير بعض التفريعات . ولكنهم أكثروا من النظم في بعض هـذه الاشكال حتى صارت سمة عليهم ، مثل التشطير والتخميس وما اليهما . وكان أحد شعراء هذه الحقبة ـ وهو صفي الدين الحلي ـ الذي جمع لاول مرة هذه الاشكال ، وكشف عن قوانينها . فالتزمها معاصروه ومن جاء بعدهم .

وقد أبان (الحلي) أن من هذه الاشكال ما التزم اللغة العربية الفصحى كالقصيدة ومنها ما التزم العامية كالزجل ، ومنها ما خلط بينهما كالموشح . وقد التزم بما قال الشعراء الذين ندرس حقبتهم . وهاك بيان هذه الاشكال ، وما تفرع عنها ، وقواعدها :

القصيدة :

التزم الشعراء المملوكيون والعثمانيون الشكل المعروف للقصيدة العربية ، من أتباع أحد الاوزان الستة عشرة ، وقافية واحدة ، وبدأوا بالنسيب ، وتخلصوا منه الى الغرض الاصيل .

ولكن هذا الالتزام نفسه أدى الى وجود أشكال شتى للقصيدة. فقد التزم بعض الشعراء قصائد معينة احتذوها، مما أدى الى ظهور ما سموه « المعارضة » والتزم بعضهم قصائد معينة ، ولكنهم لم يحتذوها ، وانما اقتطعوا أجزاء منها أضافوا اليها أجزاء من عندهم على ترتيب معين ، مما أدى الى ظهور ما سموه بالتشطير والتخميس .. الخ..

المعارضة :

احتذاء الشاعر قصيدة قديمة في الوزن والقافية وحدهما ، ولا حرج عليه أن يختلف معها في الغرض الذي يستهدفه . والمعارضة يلجأ اليها عادة الناشئون من الشعراء لتيسر عليهم الوزن والقافية ، وما أن تثبت أقدامهم حتى يعدلوا عنها . لكن الكبراء من شعراء هذا العصر لم يكونوا يرونها منقصة بل كانوا يتبارون فيها ويفتخرون بها ، فأقبل عليها الحلي وابن نباتة وابن حجة والقيراطي وغيرهم .

وراجت عندهم معارضة قصائد معينة مثل لامية العرب للشنفري الجاهلي ، وبردة كعب بن زهير المخضرم ،

ومقصورة ابن دريد ولامية العجم للحسين بن علي الطغرائي وبردة البوصيري . كما راج شعراء معينون كالمتنبي ، الذي أقبل كثيرون على معارضة قصائده . وبلغ بهم حب المعارضة أن انتقلوا بها من مجال القصائد الى مجال الموشحات والازجال في الشعر ، والمقامات في النثر .

التشطير :

أن يبني الشاعر قصيدته على بحر قصيدة قديمة وقافيتها ثم يدخلها في قصيدته على النحو التالي : يجعل من الشطر الاول في القصيدة القديمة أول أشطار قصيدته ثم يجعل من الشطر الثاني فيها رابع أشطار قصيدته ثم ينظم هو الشطرين الثاني والثالث . ويستمر على هذه الصورة في بقية القصيدة .

ولم يكن التشطير أمرا هينا ، ولذلك كان أكثر ما شطروه المقطعات ، وأن شطروا البردتين وبعض القصائد الاخرى التي نالت من اعجابهم الغاية . وكان شيوع التشطير في العصر العثماني أكثر من شيوعه في العصر المملوكي . وأمثل له بقول عثمان بن محمد بن حسين الشمسي (١)

وأغيد لؤلؤي الجسم ذي هيف
متمم الحسن ، فيه كم أرى عجبا
كأنما خاله من نار وجنته
أنقض يرشف شهدا جاوز الشنبا

شطرها عثمان بن أحمد الصفائي فقال :

وأغيد لؤلؤي الجسم ذي هيف
بوجنة أشرقت ، منها الفؤاد صبا
البدر طرته ، والغصن قامته
متمم الحسن ، فيه كم أرى عجبا
كأنما خاله من نار وجنته
قدزادحسنا، ومنأعلى الخدود ربا
وحين خافاللظى في الخد يحرقه
انقض يرشف شهدا جاوز الشنبا

التخميس :

أن يبني الشاعر قصيدة له على بحر قصيدة قديمة ويدخلها فيها . وله صورتان : صورة شائعة يضع فيها الشاعر ثلاثة أشطر ينظمها ويلتزم فيها قافية الشطر الاول من القصيدة القديمة ، ثم يورد البيت الاول من القصيدة القديمة ، ويسير على هذا المنوال فتصير قافية القصيدة القديمة قافية لكل خامس شطر من القصيدة الجديدة .

مثال ذلك قول ابن حجة الحموي في تخميسه على بردة البوصيري (٢) :

لما مزجت دمي بالدمع من ألمي
وهمت في لجج الدمعين من سقمي
قالوا بعيش مضى مع جيرة العلم
« أمن تذكر جيران بذي سلم
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم »

أم هل شدت ذات طوق شدو هائمة
أم من بروق بثغر السفح باسمة
أم من شذا نسمة بالقرب ناسمة
« أم هبت الريح من تلقاء كاظمة
وأومض البرق في الظلماء من اضم »

والصورة الثانية يجعل فيها الشاعر الشطر الاول من القصيدة التي خمسها شطرا أول لقصيدته ويعقبه بالاشطر الثلاثة التي ينظمها على قافيته ثم عجز القصيدة الاصلية . فيفرق بذلك بين الشطرين الاصليين، على حين وردا متتاليين في الصورة السابقة . قال الاكواري في تخميس له على أبيات من نظمه أيضا (٣) :

« اذا المرء لم ينفعك والدهر مقبل »
عليه بما قد كان يرجو ويأمل
وأضحى بثوب التيه والكبر يرفل
وصار يرى منك المودة تثقل
« عليه ولم تخطر عليه ببال »

وكان اقبال الشعراء المملوكيين والعثمانيين على التخميس يفوق اقبالهم على التشطير وبقية الاشكال الاخرى ، فخمسوا أكثر القصائد التي عارضوها والابيات التي أعجبوا بها ، بل شارك أكثر من شاعر في تخميس أبيات معينة . ولكن بردة البوصيري حافظت على سبقها ، حتى أننا نعرف ما يقرب من ١٠٠ تخميس لها ، ونعرف من أبناء العصر الحديث من فعل ذلك . ومن دلائل ولعهم بالتخميس نظمهم قصائد كلها من نظمهم على نمطه وهي القصائد المسماة المسمطات ، وتخميس مالا يخمس من القصائد . فعل ذلك صفي الدين الحلي بمربعة مدرك الشيباني ، ولما كانت تتفق كل أربعة أشطر متوالية منها في القافية ، فقد حافظ الحلي على كل الاشطر الاربعة على تواليها ثم أضاف اليها شطرا خامسا من نظمه ، وجعل قافيته قافية المخمس ، قال(٤) :

« من عاشق ناء ، هواه دان

ناطق دمع ، صامت اللسان

موثق قلب ، مطلق الجثمان

معذب بالصد والهجران »

طليق دمع قلبه من أسر

« من غير ذنب كسبت يداه

غير هوى نمت به عيناه

شوقا الى رؤية من أشقاه

كأنما عافاه من أبلاه »

اذ كان أصل نفعه والضر

التسبيع :

أن ينظم الشاعر خمسة أشطر ثم يضم اليها البيت الاول من قصيدة قديمة فتصير سبعة أشطر ، ثم ينظم خمسة أخرى يضم اليها البيت الثاني من القصيدة القديمة . ويلتزم في القوافي ما التزمه في التخميس .

وتعدى بعض الشعراء التسبيع الى التعشير ، وسار فيه على النمط نفسه غير أن الاشطر التي نظمها كانت ثمانية ثم أضاف اليها بيت القصيدة القديمة .

وكل النماذج التي وجدتها في هذه الاشكال كانت تدور حول بردة البوصيري ويبدو أنها من نظم صوفية قدسوا البردة ، فتبركوا بما فعلوا فيها . وأضافوا الى ذلك التزاما آخر ، فبدأ بعضهم كل فقرة من فقرات قصيدتهم باسم الجلالة ، وبعضهم باسم النبي صلى الله عليه وسلم . يقول محمد الخلوتي القارىء في تسبيعه الذي التزم فيه اسم « محمد » :

محمد جاء بالآيات والحكم

مبشرا ونذيرا جملة الامم

ومخبرا عن عهود الخلق في القدم

وموصلا خير الاحباب في الحرم

فقلت للقلب لما طاش من ألم :

« أمن تذكر جيران بذي سلم

مزجت دمعا جرى من مقلة بدم »

التضمين :

استعارة الشاعر قطعة من شعر أو قول قديم وادخاله في قصيدته . وقد أولع شعراء هذه الحقبة به ولعا شديدا، لم يفلت منه أحدهم مهما بلغت منزلته ، فقد كان موضع فخرهم . ولكن بعضهم أفرط في اللجوء اليه افراطا بالغا ، أبرزه من بينهم . يقول النواجي: (٥) « الامير مجير الدين بن تميم كان لهجا بالتضمين مولعا به . فقلما تجد بيتا الا ويضمنه وينقله الى معنى آخر .

واليه الاشارة بقوله :

أطالع كل ديوان أراه
ولم أزجر عن التضمين طيري

أضمن كل بيت فيه معنى
فشعري نصفه من شعر غيري

ويماثله من شعراء العصر العباسي الشهاب الخفاجي .

وأصل التضمين وأكثره استعارة قطعة من الشعر . ويختلف مقدار هذه القطعة اختلافا كبيرا . فقد تكون جزءا من شطر ، مثل قول صدر الدين بن الادمي الذي ضمنه من معلقة امرىء القيس (٦) :

أحن الى تلك السجايا وان نأت
حنين أخي « ذكرى حبيب ومنزل »
وأهدي اليها من سلامي معطرا
بمسك سحيق لا « بريا القرنفل »
وأذكر ليلات بكم قد تصرمت
« بذكرى حبيب » لا « بدارة جلجل »

أو يكون الشطر تاما كما في رد ابن حجة على صدر الدين :

سرت نغمة منكم الي كأنما
« نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل »
وقلت لليلى مذ بدا جنح طرسها
« ألا أيها الليل الطويل الا انجل »
جنت ماحلا ذوقا فقلت: تقربي
« ولا تبعديني من جناك المعلل »

وقد تكون القطعة أكثر البيت مثل قول ابن نباتة الذي ضمنه قول جرير (٧) :

لانتم « خير من ركب المطايا
واندى العالمين بطون راح »

وقد يكون البيت تاما ، مثل قول ابن حجة الذي ضمنه قول المتنبي (٨) :

ولم يبق فيه للصنيعة موضع
وللسيف فيه موضوع قد تمهدا
« ووضع الندى في موضع السيف بالعلا
مضر كوضع السيف في موضع الندى »

وتعدى التضمين الشعر الى غيره من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة والامثال وأقوال العرب ، وان فرق بعض الكتاب بين بعض هذه الانواع وأعطاها أسماء مختلفة . وأكثرها شيوعا تضمين الآيات ، وخاصة عند ابن نباتة، مثل قوله يرثي تاج الدين السبكي (٩) :

ترك الاسى انسان عيني بعدكم
أبدا يغادي لوعة ويراوح
تعبان ذا سهر وسح مدامع
« يا أيها الانسان انك كادح »

أخذ الشطر الثاني من سورة الانشقاق .

ويليها في الكثرة الامثال : الفصيح منها : مثل قول الشهاب الخفاجي (١٠) :

ملكت من القنع كنز الغنى
وقال اصطباري : « من عز بز »

أو العامي مثل قوله أيضا (١١) :

يا صاح : ان وافيت روضة نرجس
اياك فيها المشي فهو محرم
حاكت عيون معذبي بذبولها
« ولاجل عين ألف عين تكرم »

ثم نجد تضمين الاحاديث النبوية ، مثل ابن مكانس (١٢) :

من حسن دين المرء ترك ذكر ما
لم يعنه في حاله ليسلما

وتضمين أقوال العرب السائرة مثل قول ابن نباتة (١٣) :

لا تخش بيتك أن يلوي الزمان به
« فان للبيت ربا سوف يحميه »

فقد أخذ شطره الثاني من قول عبد المطلب عن البيت الحرام عام الفيل (١٤)

ومن يرجع الى كتاب « الدر الثمين في محاسن التضمين » ير عجبا . وواضح أن الشاعر يبذل جهدا كبيرا في التشطير والتخميس وما اليها في المواءمة بين ما ينظمه

من شعره وما يستعيره من شعر غيره ، وكان الاجدر بهذا الجهد أن يوجه لاجادة ما ينظمه الشاعر نفسه ، وأنه مهما بلغت قدرة الشاعر ، كثيرا ما استعصت عليه هذه المواءمة ، فظهر التكلف أو الخلل على الشعرين معا · ولم يبق لهما غير طرافة الصناعة ·

الموشحة :

يبدو أن كتاب دار الطراز الذي وضع فيه الشاعر الايوبي ابن سناء الملك قوانين الموشحات كان عاملا حاسما في نشر الموشحات ، واقبال الشعراء على نظمها · فلا نكاد نسمع عن شاعر لم يشارك فيها ·

وأكثر مانظمت الموشحات في الغزل والمدح والتصوف، واختلط الغزل بالخمر ووصف الطبيعة فيها مثل اختلاطه بهما في القصائد · ولكن الموشحات الصوفية حظيت بأكثر رواج لها في العصر العثماني ، وان لم تفقد نصيبها من العصر المملوكي عند الششتري والسروجي خاصة ·

واحتذى الوشاحون موشحات الاندلسيين ، حتى قيل عن الحلي (١٥) « كان لا يكاد يسمع بموشحة نالت حظا من الشهرة الا عارضها » · ولكن ذلك لا يحرم المشارقة من بعض الابتكار ، والتغيير الجزئي الذي أجروه عليها ·

فقد ابتكر صفي الدين الحلي ما سماه « الموشح المجنح » و « الموشح المضمن » أما الثاني فقد عرفناه في التضمين · وأما الموشح المجنح فسماه بذلك لاتفاق قوافي اقفاله ، واتفاق قوافي أبياته ، فهو اذن ذو قافيتين · قال (١٦) :

عزمت ـ يا متلفي ـ على السفر
وأطول خوفي عليك ، واحذري
يؤيسني من لقاك قولهم
بأنه لا رجوع للقمر
تمهل ، مضنى جفاك
تجمل ، ذبت في هواك
يا من حكى الظبي في تلفته
وفاقه بالدلال والخفر
أتلفتني بالصدود معتديا
فذل عزي ، وعز مصطبري
تدلل ، مهجتي فداك
تمهل ، بعض ذا كفاك

فالتزم الراء في جميع الابيات ، والكاف في كل الاقفال ، وأضاف الى ذلك قافية داخلية ، هي اللام ، التي التزمها في الكلمة الاولى من اغصان الاقفال ، التي التزم أن تكون على وزن تفعل أيضا ·

وصرح تاج العارفين البكري الصوفي أنه نظم موشحه الآتي على غير قياس :

خالف العذال ان قالوا : أفق
من شراب القوم
واعص من قال: انتبه لي واستفق
فاغتبط بالنوم
ليس ما قلت على ما يتفق
أنا وحدي اليوم
واحد الدورة قطب العالم
ملتقى البحرين معنى آدم
سيد الاحباب

وكذا قال عن موشحه (١٧) ·

طلعة المحبوب كل القمر
هكذا هيمنت كل البشر
كيف لا تسري بكل الصور
وهم هالات

وخلط بعضهم بين الموشح والدوبيت ، مثل الشهاب العزازي في قوله (١٨) :

أقسمت عليك بالاسيل القاني
ان تنظر في حال الكئيب الفاني

أو تقصر عن اطالة الهجران

يا من سلب المنام من أجفـاني

ما أليق هذا الحسن بالاحسان

ويمضي على هذا النسق حتى ينظم سبعة أدوار ، تجمع بين سبعة أغصان وسبعة أقفال •

وقد نوع الوشاحون في هذه الحقبة في عدد الاغصان التي ألفوا منها أبياتهم وأقفالهم ، وعدد الادوار التي ألفوا منها موشحاتهم ، تنويعا واسع النطاق • كما نوعوا في الاوزان التي صاغوها عليها •

ويستحق التسجيل ان القليل منهم من التزم أن تكون خرجة الموشحة ماجنة ، مثل قول ابن مكانس (١٩) :

اني أهيم بالنســا كالحـور
والمـرد والمعـذر الطـرير
والاسود اللحيــة والزرزوري
والشيخ رب العـارض الكافوري

والحمد لله ولي الحمد

ولم يلتزم أكثرهم ذلك • وآثر كثيرون أن يوردوا فيها اسم ممدوحيهم قرب ختام الموشح :

واحتذى بعض الشعراء الشعبيين شعراء الفصحى وأخذ من الموشح قالبا فنيا له • ذكروا أن مغنيا كان يسمى مظفر كان يغني على الشبابة والدفوف قائلا (٢٠) :

من بعد ما صد حبيبي ومار   جا اليوم   وزار
أبصرت ، ما كان أبرك منو نهار
جاني حبيبي وبلغنـــي المنـى
وزال عن قلبي الشـقا والعنـا
ودار كأس الانس ما بيننــا
يا ما أحسن الكاسات علينا تدار   في وسط الدار

أنا وحبيبي جهـارا نهـار

المسمطة :

السمط سلك اللؤلؤ الذي يجمع حباته ، ويقال ان المسمطة منشقة منه لانها متفرقة القوافي وانما يجمع بينها قافية الشطر الخامس الموحدة • فالمسمطات تماثل المخمسات في التركيب ، وتسمى أحيانا باسمها ، غير أنني أوثر أن أطلق المخمسات على ما ضم شعرا مستعارا وتقرب المسمطة من الموشحة في الشكل غير أنها تلتزم الاشطار الخمسة ، على حين تتعدد الاشطار في الموشحات تعددا بعيدا •

ولا تنافس المسمطات المخمسات أو الموشـحات في الانتشار • فهي قليلة العدد ، اقتصرت عند الحلي على وصف الصيد الذي تخلله المدح والشكر ، وعند ابن مكانس على الغزل الذي ارتبط بالخمر ووصف الطبيعة • ونظم ابن دقيق العيد مسمطته في المدح النبوي الذي استهلـه بالغزل •

وهاك مثالا من مسمطة ابن دقيق العيد (٢١) :

أضرت بي البلوى ، وذو الحب مبتلي
يعالج داء بـين جنبيـه معضلا
ويثقله من وجـده ما تحمـلا
وتبعثه الشـكوى فيشتاق منـزلا
به يلتقي في راحة المتـورع
مقر الذي دل الانام بشرعـــه
على أصل دين الله حقـا وفرعــه
به انضم شمل الدين من بعـد صدعـه
لنا مذهب العشاق في قصد ربعـه
نقيم به رســم البكا والتضـرع

المزدوجة :

قصيدة من بحر الرجز يقفى فيها كل شطرين بقافية واحدة، قد تختلف من قافية الشطرين السابقين واللاحقين، وهي في الغالب من الشعر التعليمي • وليست المزدوجة وليدة هذا العصر • ولكن شعراءه وعلماءه أكثروا من استخدامها لضبط العلوم المختلفة وتيسير حفظها ، وخاصة في العهد العثماني •

فنظم جمال الدين محمد بن عبد الله المعروف بابن مالك الجياني في النحو الالفية في ألف بيت تقريبا ، والكافية الشافية في ٣٠٠٠ بيت ، وفي اللغة « النظم الاوجز فيما يهمز » ، وفي القراءات منظومة في مقدار الشاطبية « ١١٧٣ بيتا » • ونظم ضياء الدين أو الحسن علي بن سليمان المعروف بابن الاذرعي التنبيه في الفقه من ٦٠٠٠ بيت • ونظم ابن الشهيد السيرة النبوية لابن هشام في خمسين ألف بيت • ونظم حسن بدري الحجازي في المنطق « الدرة السنية في الاشكال المنطقية » • ولن تجد علمـا عرفوه لم ينظموا فيه •

وأعجبوا « بأرجوزة » المادح والباغم » لابن الهبارية اعجابا شديدا ، فحاكوها في جميع الامثال ، ان لم يلتزموا ايرادها على ألسنة الحيوان • فعل ذلك ابن حجة الحموي في « تغريد الصادح والباغم » يقول ابن حجة (٢٢) :

خذ حكمـا وكلها أمثـال
ليس لها في عصرنا مثـال

ألفها ابن حجـة للنجبـا
لان فيها رأس مال الادبـا

واختارها من مفردات الصادح
فكان ذا من أكثر المصالـــح

واستلهم عدد من الشعراء الصادح وغيره من منظومات الامثال ، فساروا على منوالها ، دون أن يلتقطوا حكمهم وأقوالهم من واحدة بعينها . فعل ذلك الشهاب الخفاجي في ـ ريحانة الندمان ـ . قال الشهاب :

من ينتسب الى العظيم عظما
فالجأ الى الله تكـن مكرمـا
تصـان عن كسر وعن امالـه
مجاورا سـعدا وخير حالـــه
وربمــا يكسـر للجـوار
ويؤخذ الجار بظلم الجــار

ونظم ابن نباتة مزدوجة وصف فيهـا الصيـد والطبيعة، ومدح الملك المنصور وسماها «مصائد الشوارد». فهي قريبة الشبه بطرديات أبي نواس الرجزيـــة . قال (٢٣) :

أثنى شذى الروض على فضل السحب
واشتملت بالوشى أرداف الكثب
ما بين نور مســـفر اللثـام
وزهر يضحـك في الاكمـــام
ان كـانت الارض لهـا ذخـائر
فهي لعمري هــذه الازاهــر

الزجل :

أصيبت اللغة العربية في هذه الحقبة ، وخاصـة العصر العثماني ، بالتدهـور وبالجمـود ، فتسـرب الى لغة الشعر ألفاظ عامية معاصرة أو رديئة غير مرضية . في هذا الجو ، لا نعجب أن تجد الفنون الشعريـة الملحونة المجال فسيحا أمامها ، وأن ينتشر الاعجاب المتزايد من الناظمين والمستمعين فتروج بضاعتها كل رواج . ويقف الزجل على رأس هذه الفنون .

ويمكن القول بأن الزجل هو الشكل العامي للموشح. ولهذا تتجسد أوزانه وتتعدد قوافيه ، وتتنوع أدواره ، ولا تقف عند حد ، فتتيح للزجال حرية بعيدة . والاصل في الزجل أن يكون عامي اللغة ، ولكن بعض الزجالين خلطوا في أزجالهم بين اللغتين الفصيحة والعامية .

ومن شعراء الفصحى من أنف من الزجل ، ونـزه نفسه عن نظمه مثل ابن نباتة . ومنهم من شارك فيه ، وأصدر منه مجموعة طيبة مثل صفي الدين الحلي . بل لقد فعل الحلي فيه ما فعله في الموشح ، من العناية بـه والبحث عن المشهور منه ومعارضته . وعني الصوفيـة بالزجل فنظموا منه الكثير لقربه من أفهام العامة . والامر الغريب أن الزجل زاحم الشعر في هذه الحقبة، ونافسه في مواطنه . فقد صار الزجال خلف الغباري شاعر السلطان الاشرف ، الذي يؤرخ للاحداث ويشيد بالانتصارات (٢٤) .

ونمثل للزجل بقول الزجال المصري :

نعشق قمر   قد طلع   في تمامو
عقلي قمر (٢٥)   حين خلع   غيم لثامو
سيد السمر   بالله مـع   ذوب كلامو
مترك اللحظ (٢٦)   أحور
مستعرب اللفظ   أسمر
طـــرفو   لي سبا
يفـــو   ق الظبا
وألحاظ بـــا   بل بليه
هي في العشق با   ب المنية

---

١ ـ الجبرتي ٤ : ١٧١ ، ١٨٢ .
٢ ـ ريداوي ١٢٤ . ديوان البوصيري ١٩٠ .
٣ ـ الجبرتي ٣ : ٢٦ .
٤ ـ ديوانه ٤٤٣ .
٥ ـ حلبة الكميت ١٧٠ .
٦ ـ ريداوي ١٢٩ .
٧ ـ ديوانه ١٢٠ .
٨ ـ ريداوي ٢٢٤ .
٩ ـ ديوانه ١٢٠ .
١٠ ـ الدر الثمين للادكوي .
١١ ـ الدر الثمين للادكوي .
١٢ ـ ابراهيم الدسوقي ٢٩٥ .
١٣ ـ ديوانه ٥٧٣ .
١٤ ـ السيرة النبوية ١ : ٥١
١٥ ـ علوش : شعر صفي الدين الحلي ٢٣٢ .
١٦ ـ ديوانه ٤٥٥ .
١٧ ـ ديوانه
١٨ ـ محمد زغلول ٣٠٤ . فوات الوفيات ١ ـ ١٦٦ .
١٩ ـ ديوانه
٢٠ ـ محمد زغلول ٢٨٨ .
٢١ ـ علي صافي ١٤٧ .
٢٢ ـ ديوانه ٥٨٥ .
٢٣ ـ محمد زغلول ٣١٤ ـ ٣١٥
٢٤ ـ قمر : كسب .
٢٥ ـ مترك اللحظ : يريد تركي العين ، أي صغيرها .

سداسيات

ما دهى الروض

ما دهى الروض غفت أطياره — وجفاه بعدنا زواره
ما دهى العود شجاني صمته — فتلمس حانيا أوتاره
كم شكا الليل ببوح خافت — فلم الصمت وما أعذاره
شاعر كان هنا أمس ترى — أين أمس ما دهى أشعاره
أسكر الروض بألحان الهوى — فتثنت نشوة أزهاره
لا تقل مات هوانا أفما — بقيت من حبنا اثاره

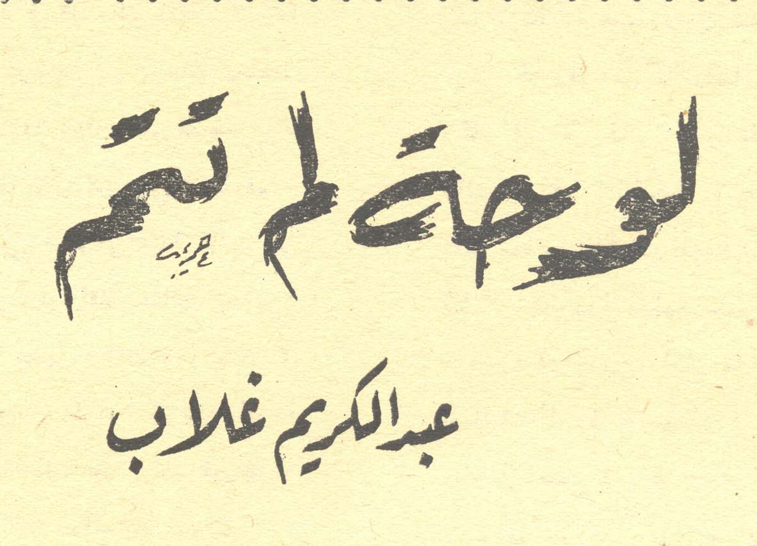
الهمسة الأخيرة

ان عاد يا اختاه قولي له — بأن قلبي لم يخن قلبه
ان عاد يا أختاه في رحلتي — فأخبريه ما جرى بعده
قولي له ٠ أختاه ما خنته — يوما ولا فارقني طيفه
وأمشي به لا تخبريه الى — أين به تمضين : وارثي له
لعله يذكرني لحظة — بدمعة أنسى بها صده
قولي له ماتت بطهر الصبا — قولي له صنت له عهده

طريق

عفو ليالينا وعفو الوعود — لا ترقبي العودة لا لن أعود
لو صغت لي دربي بهمس الهوى — ولو فرشت الارض لي بالورود
كفرت بالعهد وأخرجتني — من جنتي مكبلا بالقيود
حرمتني الورد وكنت الهوى — وقد تهادت شفتي للورود
فالتمسي غيري فأيامنا — ولت وماتت باسمات الوعود
واليوم دربي ندم كله — وبين أضلاعي فؤاد حقود

منذر المفتي



المرأة ٠

عنوان اللوحة التي كانت سبيلها الى قلبه ،

تجول في المعرض الصغير كفنان هاو اعتاد أن يزور المعارض الفنية بعين لاقطة ، وعقل متفتح ، واحساس مرهف ، واستعداد لتقبل العطاء ٠ يزور المعرض كما يزور دنيا حافلة بالعطاء الانساني في خطوط متعارضة طافحة بالغموض ، في وجه انسان متفتح للحياة ، أو برم بقدره ، في شلالات نهر هادر ، أو أغصان متعانقة ، في بسمة طفلة ، أو نظرة قطة ، في اللون والضوء ، في الفراغ اللانهائي ، في الوجود المغمور بالضوضاء ٠

توقف عند اللوحة :

— شجاعة أن ترسم فنانة صورة المرأة ٠

تطلع يكتشف ما وراء الرسم : ذكاء ، عزيمة ، اصرار ، تحدي ، لهفة ، جاذبية ٠

ويجانب اللوحة ليكتشف : حنان ، نداء ، عطاء ٠٠

وقف طويلا كما يقف عند أي من اللوحات الاخرى وما يزال يكتشف ٠

— ترى هل رسمت الفنانة ملامحها ، أم لعل خيالها التقط ملامح من هذه وتلك ليرسم منها لوحة كتبت عنوانها: المرأة ٠٠٠؟

تلفت في جوانب المعرض الهادىء يبحث بين الوجوه القليلة عن الفنانة التي تعرض لاول مرة ٠ لم يكن يعرفها ، لم يسمع باسمها من قبل ٠ بحث في عيون الفتيات الثلاث اللائي كن يتجولن في المعرض ، في وجوههن وقدودهن مشيتهن ، حركاتهن ، كلهن زائرات رمى بهن الفضول الفني لزيارة معرض تنظمه سيدة ٠

سأل عنها ، عن الفنانة صاحبة المعرض ، وتلقى الجواب من شاب اتضح أنه مجرد راع ، دليل ، يحلو له

أن يقوم بهذه المهمة كلما عرض فنان أو فنانة ·

ـ هي في الكلية وستعود ···

في شوارع الرباط ، وقد اكتظت بالوافدين من الادارات والمكاتب ، كان يسير على غير هدى · يذكر أنه زار عدة معارض فنية في نفس المكان البارد الهادىء الذي يوحي بالماضي ويحدث عن التاريخ · خرج من بعض هذه المعارض وليس معه منها غير متعة آنية سرعان ما تغرق في زحام الناس والافكار وهموم الحياة · وخرج من بعضها وفي نفسه شيء تحول الى فكرة فنية أو انطباع عن الرسام · وخرج من بعضها بلقطة تحولت في قلمه الى قصة ··· ما يزال يذكر القصص التي استوحاها من لوحات يحتفظ بملامحها في زاوية من ذاكرته · ما يزال يعتبر قصصه تلك نتاجا شرعيا لريشة فنانين ربما لا يذكر حتى أسماءهم · ومن يدري ؟ لعل اللوحات التي استوحى منها كانت هي الاخرى نتاجا شرعيا لقصص رسمتها أقلام فنانين آخرين·

ولكنه خرج من المعرض في يومه ذاك وهو يفكر في اللوحة ، الرسم الذي يحمل عنوان : المرأة · لم تكن اللوحة موحية بمتعة آنية ، ولا ألحت عليه أن يرسم قصتها · هي ، هي التي خلقت من الالوان والضياء صورة ··· « المرأة » هي التي كتبت قصتها ، ليست لقطة عابرة موحية ، انها قصة كاملة ·

وما تزال « المرأة » في احساسه ، يقظة تحدثه ، تقدم نفسها اليه تشعره بالحرج في تحديها واصرارها وعزيمتها ولهفتها وجاذبيتها ، تشعره بالتجاوب في حنانها وندائها وعطائها · عاد الى المعرض في يوم غير يومه مدفوعا بالحاح الرسم الذي رهن عنده فكره وقلبه · ومع الفنانة الرسامة كان يحاول أن يكتشف سر « المرأة » في عينيها الذكيتين وقدها الاهيف وحديثها الجذاب واقبالها اللاهف وصفاء نظرتها وحنان صوتها ، وقلبها الكبير المتفتح ·

لم يستطع أن يؤكد لنفسه أنه كان مدفوعا باللوحة الفنية التي قدمت نفسها اليه في المعرض الهادىء حينما عرض عليها الزواج ، ولم يستطع أن يتأكد أنها كانت مدفوعة بالصورة التي قدمتها عنه المجموعة القصصية التي أهداها اليها في لقائهما الثاني ، حينما قبلت عرضه بالزواج ، ولكن الذي يعرفه أنه تزوج الفنانة التي أنجبت اللوحة « المرأة » · والذي تعرفه أنها تزوجت الفنان الذي أنتج القصة : « أنت لي ··· » ·

شقة بسيطة كانت عشهما الهادىء الدافىء ، لم يكن يرتاده صخب زوجين شابين يجربان الحياة معا لاول مرة · كان فيه من عالم الناس الحب والتقدير والتجاوب ، وكان فيه من عالم العقل تفكير مشترك في شؤون العلم والفن والادب والسياسة · يعيشان لمتعتهما الفنية والفكرية أكثر مما يعيشان لمتع الحياة التي اعتاد الآخرون أن يعيشوا لها · تجتذبهما واجهة مكتبة أو قاعة موسيقى أو صالة محاضرة أو مسرح، أكثر مما تجتذبهما واجهة ملابس أو جماليات أو قاعة سينما · يتحدثان في هدوء وبصوت منخفض يبلغ أحيانا درجة الهمس · الكلمات عندهما لا تؤدى بحروفها ، ولكنها أيضا تؤدى بجرسها : مهموسة أو صاخبة ، ذلك بعض دلالاتها · عرفا الحب وعرفا السعادة وعرفا التجاوب ، ولكنهما أيضا عرفا الخلاف ، الجدل ، الخصومة · كانا يتفقان في الفكر ويختلفان أحيانا في الشكل · كان يكتب في وضوح ويعبر ببساطة وقد تكون الفكرة أعمق من وضوحه وبساطته ، ولكنه كان يؤمن بأن من مهمة الكاتب أن يفتح المنغلق · وكانت ترسم بغموض وتزاوج بين الالوان المتنافرة ، تترك ريشتها أحيانا تعربد على سطح اللوحة وهي لا تدري الى أي قدر تسوقها · وتنطلق ضاحكة مستبشرة :

ـ نجحت الريشة · أن تعبر عما كنت أحس به ···

كان يختار وقت الاطمئنان النفسي والراحة البدنية

والفراغ من متاعب الحياة ليكتب قصة • كثيرا ما كان يكتب السطر الاول منها ثم يطوي الورقة أياما أو أسابيع يعمق فيها الفكرة ، ويبحث فيها عن ذاته الهادئة المطمئنة لتعبر في جلاء عن الفكرة التي تملكته •

كانت تختار ساعة القلق النفسي ، الغضب ، الاضطراب أو حتى ساعة التعب الجسمي لتختلي الى لوحتها وريشتها • أحيانا لم تكن تختلي • تطلق عنان المسجلة الصغيرة على موسيقى صاخبة ، ثائرة ، هائجة منفعلة وريشتها بين أصبعيها تتماوج مع الالوان في بطء حيوي •

الافكار مفككة ، النوازع متباينة ، صراع اليأس والامل يرجها رجا • تلك لحظة اندفاعها نحو الزاوية الصغيرة التي اختارتها كمرسم لها في منزلهما الصغير الثاوي في الحي المتواضع الهادىء •

ويقف أمام اللوحة فاغرا فاه اعجابا • ولكنه يحاول أن يفهم •

– ليس المهم أن تفهم • لست مدرسة في قسم ابتدائي ••

– ولكني أريد أن أعرف : ماذا تقول اللوحة •

– انها تقول ما أردت أن تقوله

– ما هو ••؟

وتهز كتفيها في نشوة • ظفرت بالسؤال الذي كانت تبحث عنه : ما هو ؟ سر الحياة الغامض الذي نقوله لانفسنا في وحدتنا ، نهمس به لفكرنا لمشاعرنا • ولكننا لا نطيق الاعتراف • الفن وحده يستطيع أن يعبر عن هذا السر دون نفاق ، في غموضه وتداخل ألوانه وتقاطع خطوطه يعرب عما وراء الكلمات •

ويستسلم ، فهو صراع أبدي لا يطمع في أن ينتصر فيه ، فيعبر عن استسلامه بقبلة حب واعجاب يطبعها بين عينيها الطافحتين بالنصر • وهو يهتف :

– آه لو كنت أقل غموضا •••

وتأخذ اللوحة بمجامع قلبه • يسترق اللحظات الهادئة يجلس أمامها ، يسير في مواجهتها ، يقف خاشعا كما لو كان يتعبد في محراب • تقول له اللوحة الكثير • ويبتسم وهو يودعها • يعود اليها بعد أيام ليجلس ، ليسير ، ليقف ، وتقول له الكثير مما لم تتحدث به في المقابلة الاولى• ويبتسم وهو يودعها •

– أسرار المرأة • غامضة • أنت في حاجة الى وقت لتفصح لك • لا تقول كل شيء • أنت دائما في حاجة اليها ، سرها •

هكذا حدث نفسه وهو يلقي النظرة الاخيرة فياحدى مقابلاته مع احدى لوحاتها •

وتستمع اليه يقرأ قصته ، وقد وضع لمساتها الاخيرة ، بأذنيها وعقلها معا : المنطق ، التحليل ، الفكرة ، العقدة ، الوصف ، الكلمات مختارة لامعة مشعة ، الواقع تكاد تلمسه بيديك ، الجو تعيشه بكل حواسك ، الاثارة ، الفرحة ، الحزن ، الغضب ، الامل ، تفاهة، سمو ، نفوس مريضة ، نفوس سليمة ••

وتقف أمام القصة فاغرة فاها اعجابا • وتسأل :

– ••• وماذا تريد أن تقول ؟

– قالت القصة كل ما أريد أن أقول •••

وتتطلع الى وجهه الصبوح في وضوحه فتطبع على خده قبلة تهنئة ، وهي تهتف :

آه لو كنت أقل وضوحا •••

وتسترق لحظات فائرة منفعلة فتقرأ القصة من جديد ، بعينيها هذه المرة لا بأذنيها ، تعيد النظر في الكلمات ، في المقاطع ، في اللمسات ، تجرد الشخصية من كل مباذلها لتتعرف عليها في كل محاسنها ، تجردها من كل محاسنها لتتعرف عليها في مباذلها ، تجردها من كل محاسنها ومباذلها لتراها عارية قبل أن يمنحها الكاتب طعم الحياة • وتعجب لهذا الوضوح الذي يخفي الكثير : ما وراء الكلمات ، الصورة ، التحليل ، التجاوب مع العواطف الانسانية •

من ذاته وقلبه وفكره منح هذه الشخصية . خلق وابداع . انه هو بكل ممكناته صاغ انسان هذه القصة .

كذلك تحدثت الى نفسها وهي تطوي آخر صفحة من الكراسة التي عاشت معها لحظات أرادت منها أن تكون بعيدة عن تأثير الصوت التي ألفت أن يقنعها دون أن تفكر طويلا فيما وراء الصوت .

وتسير بهما الحياة هادئة ناعمة يتوزعها العمل ، ويجمع بينهما المرسم والمكتب ، كل منهما يعيش في عالم منفصل ، هي ترسم بالريشة والالوان ، هو يكتب بالقلم والحبر . والشقة الصغيرة تحيل عالميهما الى عالم واحد يلتقي فيه الرسم بالكتابة ، الغموض بالوضوح الرمز بالايحاء والايماء ، الاشارة العابرة بالتحليل .

ـ زهرة ...؟

تطلعت اليه ـ وهما على مائدة عشاء ـ بعينين متسائلتين . وكان من عادتها ألا تتحدث اليه أو تستمع اليه الا وعيناها سابحتان في وجهه ، كأنها تسمع بهما وكأن وجهه الذي يتحدث . وجهه هذه المرة كان يتحدث في شيء من الانفعال . يريد أن يقول ، ولكنه يبدو غامضا . التقطت شخصيته كما ألتقط شخصيتها فبدت واضحة ، وهي تسمع بعينيها ، وكأنها تشجعه على أن يخرج من عالم الغموض والاشارة والرمز . لم يسعه الا أن يكمل جملته .

ـ ... ألا تحسين أننا فريدان ...؟

وطاف بفكرها عالم المرسم ، يحفل بالشخصيات والافكار الوليدة ، عالم المكتب يحفل بالاصدقاء والصديقات وبالنفوس البريئة والشريرة جميعهم من ابداعهما وخلقهما . عاد بها التفكير الى ملاحظات عنه ظلت في منطقة الاستفهام : فرحة الاطفال تغمره كلما صادف في طريقه طفلا أو طفلة تجري نحو أحضان أمها ، تناغي طفلات أو أطفال في مثل سنها . من مشهد كهذا اعترضه في حديقة عمومية ، أبدع قصة ما زالت تحظى لديه بالاعتزاز .

في ملتقى نظراتهما حومت كل هذه الارتسامات . كانت تهم بأن تجيب :

ـ لسنا فريدين . عالمنا طافح بالابناء والبنات ...

تراجعت عن الكلمة حسبتها موجعة وهي تقدر ما دفعه الى هذا السؤال الحزين . استجمعت كل شجاعتها ، أودعت كل أنوثتها في عينين طافحتين بالبشر . هتف فمها الدقيق :

ـ قدم الطلب ...

عادت بها الذاكرة في الحين الى ما كانا يقرآن في الليلة الماضية في ألف ليلة وليلة ، أكملت الجملة ، وضحكة عارمة ترن بين شفتيها :

ـ ... جاريتك المطيعة رهن اشارة مولاي ...

احتضنها في قبلة عارمة . فقد نضت عنه طابع حزن خيم على حديثه وهو يدلي اليها بمشاعره . كان يشعر بالحزن والاسى حينما يزوران الاصدقاء فتطفح القاعة بمناغاة الاطفال ولعبهم وحتى مضايقاتهم . وكان يسعى الى هذه الزيارات وقلبه طافح بالحب لهذا الطفل وتلك الطفلة . يحتضن هذا ويقبل تلك حتى ربطت بينه وبين الاطفال صداقات .

ـ بابا سليم

ـ عمي سليم

هكذا كان الاطفال يلهجون بذكره وهم يتحدثون عنه ، وهم يستقبلونه على الابواب ، وهم يقفون دون الباب يمنعونه من أن يخرج اذا ما هم الرحيل .

تسربت شخصيات من عالم الطفولة الى قصصه . من حيث يدري أو لا يدري . كان يسعى الى أصدقائه ليتزود بملامح من عالم الاطفال ، فقد كانت تنقصه التجربة حينما تعترض طريقه وهو يرسم شخصية طفل أو طفلة في قصة من قصصه . شعر ، وزهرة تنعم بالقبول ، انه حقق نصف الهدف ، فسيكون له أطفال يملأون فراغه ،

يشعرونه بالبهجة ينتزعونه من عالم المكتب الى عالم الحياة ٠ كان يضيق أحيانا بمكتبه وزهرة في مرسمها ، يلجأ الى الكتاب والمجلة والصحيفة يستمد منها جميعا بعض الوحي، يخرج الى الشارع فيتطلع في وجوه الناس ويخبر أحاسيسهم من أصواتهم ٠ يعود الى ذكريات الماضي فيجتذب الافكار والمشاعر والشخصيات ٠ يلجأ الى الخيال فيجده أحيانا أكثر ضحالة من الواقع ٠ كم يكون سعيدا لو استطاع أن يلمس وجه طفلة له بكفيه ، أن يحتضن ضباها اللدن بين ذراعيه ٠ أن يقبل وجنتيها الناعمتين بفمه ٠ كم يكون سعيدا لو استطاع أن يكون أبا ٠

وكان بين الزوجين السعيدين تفاهم :

أحست زهرة أنها أصبحت أما ٠ اقتحمت العالم الذي كانت تخشاه دون شعور ٠ كل أحلامها اتجهت نحو الامومة ٠ تملكتها صفات الام : الحنان ، الرقة ، الاشفاق ، التطلع، التفكير في الآخر ، تغيرت نظرتها الى سليم ، كانت تعتبره طفلا كبيرا ٠ أصبحت الآن تعتبره استاذا ملهما ، قادرا على العطاء ٠ شعرت بالحاجة اليه كما لم تشعر من قبل ، حياتها أصبحت بين يديه ٠ لم يعد يثيرها ـ كما كان يفعل أحيانا ـ وهو يلح ٠٠٠ لاحظت أن استجابتها أصبحت تلقائية ، عالمها حفل بالاطفال ٠ تتوقف عند واجهة أية مكتبة تبحث عن كتاب عن الطفولة ٠ حتى اعلانات التلفزيون عن غذاء الاطفال تشدها كطفلة كبيرة تحن الى أيامها القريبة الماضية وهي تلعب أو تجري أو تأكل ٠٠٠

ونظرت اليه بعينين ناعمتين ذابلتين فيهما سقم ، بهما احساس بالخوف ٠ كانت تهم أن تنطق ٠ تراجعت فان رهبة ما تتملكها ، لاول مرة تحس بشيء ، تريد أن تفضي بشيء ليس خجلا ما تحس به ٠ ولكنه ٠٠٠ لا تدري ما هو ٠٠٠

تغلبت على مشاعرها ٠ طوت الصفحة لتعود الى الحديث العادي عن الحياة والناس والكتب والرسم ٠

عادت اليها الرغبة في الالتجاء ٠ ما تحس به لا تحتمل أن تجتره في وحدتها ٠ بنفس النظرة الذابلة والعينين بهما سقم همست شفتاها :

ـ سليم ٠٠٠

توقفت قليلا ٠ لعل الكلمات نفسها لم تطاوعها ٠ ابتسمت بعينيها ٠ طفرت منهما سعادة أتمت جملتها الهامسة ٠

ـ ٠٠٠ ستصبح أبا

جمدت أعصابه لا يدري لم ٠٠٠ تسمرت عيناه في وجهها الطافح بالسعادة ٠ كان في حاجة الى قليل من الوقت ليصدق ٠ وانطلق اليها يغمر وجهها بالقبل ٠ ولم يتكلم ٠

مضت الايام بطيئة ثقيلة ٠ زهرة عزفت عن دنياه ٠ شيء ما كان يدفعها أن تتحاشاه تغيرت ملامحها ، ولكنها في شحوب وجهها كانت تضيء مستقبل حياته ، في قلقها كانت تشعره بالعطاء ، شيء ما يتحرك في هذه النفس لتصبح نفسين ، جسدين ٠ تجربة ٠ آه لو تمكن من أن يكتبها ٠٠٠ آه لو تمكنت من أن ترسمها ،،

وكان المرسم ملجأها ٠

لم يكن يسمح لنفسه أن يقتحم عليها دنياها قبل أن تأذن ٠ قد عودته أن يكون أول من يرى لوحاتها بعد أن تطمئن اليها ٠ عودته أن تتحدث عن مشاريعها ، تناقش أفكارها ٠ انطوت على نفسها ، كلماتها اليه أصبحت محدودة ٠

ـ التجربة الاولى ٠٠ لعلها قاسية

كذلك حدث نفسه وهو يناقش الازمة التي تجتازها زهرة ٠

كانت الكتب ملجأه ، يستفهم عن تجارب الحمل ، عن الامومة ، الطفولة ٠

جلس في مكتبه الهادىء ٠ زهرة لم تكن في البيت ٠ لا ليكتب ، ولكن ليضع تخطيطا للمستقبل ٠ الانس سيحل

بالمنزل الصغير . سيكون طفلا ، لا طفلة ، تناغي ، تحبو ، تصيح : بابا ،،، ماما ،،، تبكي ، تضحك ، تطلب ، تتعلق تجري ، تلعب ، تكسر ، تملأ البيت دفئا ، تصل ما بين المكتب والمرسم . ترى أية لوحة سترسمها زهرة لياسمين ؟ . زهرة تحت زهر الياسمين . ترتاح نفسها لرائحته . أية قصة سيكتبها عن ياسمين ؟ والازمة التي تمر بها زهرة ؟ الاشهر الثلاثة الاولى ... هكذا تقول الكتب . هكذا توقع الطبيب . وسيعود البشر الى وجه زهرة ، وستألف العشرة الطيبة مع ياسمين في اهاب واحد ، وستستعد نفسها لاستقبال عالمها الجديد ، عالم الامومة وسيمنح نصف ما يتمتع به من حبها لياسمين .... وستمنح زهرة نصف ما تتمتع به من حبه لياسمين .

ضحك من نفسه . أخذ يوزع الحب في قسمة عادلة : نصف حبي ، نصف حبها .... ياسمين ستتمتع بالحب كله . مستعد أن يضحي . زهرة مستعدة أن تضحي ..

وقفز على رنين حاد من جرس الباب استله من أحلامه .

ــ حادثة سيارة خطيرة على طريق الشاطىء . وزهرة في المستشفى .

لم تعد زهرة الى البيت . ولا ياسمين .

وحيدا في البيت البارد كان يلقاها في كل ركن ، تجلس اليه ، تتحدث ، تضحك عيناها ، تجادل ، تناقش ، تقرأ له وهو يسمع ، بوجهها البشر تطارده في خلوته . في كل مكان كان يراها ، يسمع صوتها ، يحس بحركتها ، يتسمع الى أنفاسها في سريره ، نداؤها يوقظه من غفوته ..

لم تنته زهرة من حياته .

والمرسم . محرابها المقدس لم يستطع أن يقتحمه ، كان يشعر بأنه سيجدها هناك . لا لن يجدها هناك ، كلاهما كان يرج كيانه ، المرسم بدون زهرة سيكون خرابا . كل عبقريتها تحولت الى تراب ...

وظل المرسم ثاويا مهجورا بضعة أشهر .

ــ في المرسم كل أسرارها . من وراء القبر ستحدثك ، افتحه تسمع صوتها ، تتجلى لك بروحها ، خالدة زهرة في مرسمها ،،،

كذلك تحدث له عقله في غفلة عن عاطفته .

وفتح باب المرسم متهيبا .

زهرة كانت هناك .

على المحمل كانت اللوحة الكبيرة ، ما تزال ألوانها طرية ، الريشة ومجمع الالوان ثاويان تحت قدميها ، المرأة بقدها الاهيف بلونها الشاحب ، القلق ممزوجا بالسعادة ينبع من عينيها الذكيتين ، بعزيمتها ، باصرارها ، بتحديها ، بلهفتها ، بجاذبيتها ، بحنانها ، بندائها ، بعطائها ، في ثيابها البيضاء الشفافة ، السابحة في الهواء ، في الفراغ اللا نهائي كما لو كانت ملاكا تقف بين الارض والسماء ، يداها ممتدتان الى أعلى في رجاء ، عيناها متطلعتان الى السماء في أمل ، من بين السحب ينفرج ضوء باهت يحيط بوليد لم تكتمل بعد انسانيته ، تجاوب كامل بين نظرة الرجاء والامل ، والنور الذي يحيط بالوليد المرتقب ....

ودمعة حرى تجلل الوجه الذي كان صبوحا قبل أن يفقد زهرة ،

أخذت اللوحة مكانها في غرفته .

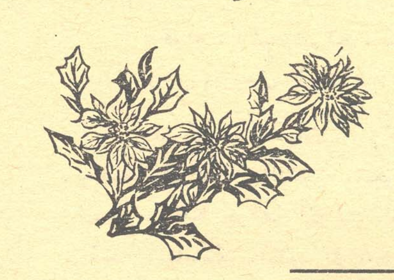
وما يزال يتطلع اليها كل صباح كما لو كان ينتظر أن تتم زهرة لوحتها .

الرباط

عبد الكريم غلاب

القصيدة العينية لابن سينا

عبد العزيز جادو



هبطت اليك من المحل الارفع
ورقاء ذات تعزز وتمنع

محجوبة عن كل مقلة عارف
وهي التي سفرت ولم تتبرقع

وصلت على كره اليك ، وربما
كرهت فراقك وهي ذات تفجع

أنفت ، ولا أنست ، فلما واصلت
ألفت مجاورة الخراب البلقع

وأظنها نسيت عهودا بالحمى
ومنازلا ، بفراقها لم تقنع

حتى اذا اتصلت بهاء هبوطها
من ميم مركزها ، بذات الاجرع
علقت بها ثاء الثقيل ، فأصبحت
بين المعالم والطلول الخضع

تبكي اذا ذكرت عهودا بالحمى
بمدامع تهمي ولم تتقطع

وتظل ساجعة على الدمن التي
درست بتكرار الرياح الاربع

اذ عاقها الشرك الكثيف وصدها
قفص عن الاوج الفسيح المربع

حتى اذا قرب المسير الى الحمى
ودنا الرحيل الى الفضاء الاوسع

وغدت مفارقة لكل مخلف
عنها ، حليف الترب ، غير مشيع

هجعت، وقدكشفالغطاء فأبصرت
ما ليس يدرك بالعيون الهجع

وغدت تغرد فوق ذروة شاهق
والعلم يرفع كل من لم يرفع

فلأي شيء أهبطت من شامخ
عال الى قعر الحضيض الاوضع
ان كان اهبطها الاله لحكمة
طويت على الفذ اللبيب الاروع
فهبوطها ان كان ضربة لازب
لتكون سامعة لما لم يسمع
وتعود عالمة بكل خفية
في العالمين فخرقها لم يرقع
وهي التي قطع الزمان طريقها
حتى اذا غربت بغير المطلع
فكأنها برق تألق بالحمى
ثم انطوى فكأنه لم يلمع
أنعم برد جواب ما أنا فاحص
عنه فنار العلم ذات تشعشع

الشرح

١ ـ هبطت : نزلت . التاء تعود الى الروح . والمخاطب هو الهيكل المحسوس المعبر عنه بالبدن . والمحل الارفع : هو العالم النوراني ، عالم الارواح . والورقاء : حمامة يضرب لونها الى الرماد ويطوق جيدها ببياض . عبر بها عن النفس الناطقة ، لان هذه الحمامة توصف بكثرة الشوق والحنين والبكاء على الاليف المهجور .

لقد سجعت في جنح ليل حمامة
على فنن وهنا واني لنائم
كذبت وبيت الله لو كنت عاشقا
لما سبقتني بالبكاء الحمائم

ولانها أذكى الطيور وأسرع رجوعا الى المنزل المألوف . فكذلك النفس الناطقة ، توصف بكثرة الشوق والتحنن الى الاتصال بالمفارقات ، والتلذذ بمصاحبة الارواح والملائكة . وكذلك توصف بالبكاء على مفارقة المنزل المهجور ، وصحبة الاعزة من الاحباب . كما أنها تهيج الشوق ، وتبعث الجوى ، وتسعد الحزين ، وتثير الطرب:

رب ورقاء هتوف بالضحى
ذات شجو هتفت في فنن
ذكرت الفا وخدنا صالحا
فبكت حزنا ، فهاجت حزني
فبكائي ربما أرقها
وبكاها ربما أرقني
ولقد تشكو فما أفهمها
ولقد أشكو فما تفهمني
غير أني بالجوى أعرفها
وهي أيضا بالجوى تعرفني

والتعزز : من العزة بمعنى القوة والغلبة ، لانها تقدر على ادراك الامور المشكلة ، ولانها غالبة على الجسم في التدبير .

وتمنع : أي ذات تمنع عن الاطلاع على حقيقتها ، ولذلك وقع الاختلاف في حقيقتها .

والحكمة في هبوط النفس هي اكساب بدنها الكمال لتلحق بالملائكة .

٢ ـ قوله سفرت : أما من السفر ، بمعنى الكشف ، أو من السفر الذي هو الانتقال من بلد الى بلد . أي سافرت من العالم العلوي الروحاني الى العالم السفلي الجسماني .

وقوله : ولم تتبرقع ، أي لم تحجب عن العقل . فانه يدرك وجودها بعين البصيرة .

عن كل مقلة عارف ، (ويروى عن كل مقلة ناظر) : يقصد بقوله ان النفس محجوبة عن كل ناظر اليها بحاسة البصر ، فلا يراها الا من أفنى عالمه الجسماني بتكميل نفسه الناطقة بالعلوم والمعارف ، ورياضتها على قبول الحقائق ، وكبحها عن الشهوات ، وأخذها بتأدية ما يجب لله ولها . فهناك يعرف نفسه ، ومن عرف نفسه فقد عرف ربه ، وكان كمن يشاهد عجائب صنعه في بدائع خلقه . ويشير بعجز البيت الى أن النفس ليست مستورة عن البدن، كما أن البدن ليس مستورا عن النفس ، فهي لجلالها وبهائها محجوبة عن الادراك بالحواس الظاهرة . ولكن لا يراها الا القليل من العارفين الذين سفرت لهم ، وأزالت حجابها عنهم . وكان أبو يزيد يعنيها بقوله : « انسلخت من جسدي فرأيت من أنا » وقوله : « طلبت ذاتي في الكونين فما وجدتها » .. واليها أيضا أشار الحلاج عند صلبه بقوله :

اقتلوني يا ثقاتي	أنا في قتلي حياتي
وحياتي في مماتي	ومماتي في حياتي

وادراك العاقل لها يكون بادراكه لآثارها الظاهرة للعيان . وعلل بعضهم عدم رؤيتها بسمو شرفها ... ولعظم أثرها أشار سيدنا علي رضي الله عنه بقوله :

(ما قلعت باب خيبر بقوة جسمانية ، بل بقوة ملكوتية وبنفس بنور ربها مرضية » ٠

٣ ـ قوله : وصلت ، أي دخلت في قالب البدن ٠

والتفجع : التألم والتوجع ٠ يقول ان النفس الناطقة لما أمرت بالدخول في البدن كرهت ذلك لعدم المناسبة ، لانها جسم علوي نوراني ، والجسم كثيف ظلماني ٠ وخافت أن يهضمها حقها ولا يعرف قدرها ٠ وخشيت أن يبخسها حظها من الاستنارة بالحقائق والعلوم والمعارف والتحلي بالفضائل ٠ ولكنها بعد اتصالها بالبدن ودخولها فيه واستئناسها به ، كرهت فراقه ومغادرته بعد أن طال ألفها به ، وصار وطنا لها ٠

والنفس بعد اتصالها وتشبثها بالجسد تتعلق به كتعلق الصانع بآلاته التي يحتاجها في العمل أو كتعلق العاشق بالمعشوق عشقا الهاميا ٠ فلذلك تحزن النفس عند فراقها للجسد أعظم الحزن ، وتتألم أكبر الالم ٠٠ ولقد قيل : ان الانسان مشتق من الانس لانه يأنس بما يألفه ٠

يقول المتنبي :

خلقت ألوفا ، لو رجعت الى الصبا
لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

وقد حكى أن أفلاطون كان دائم البكاء ٠ فسأله أحد أصحابه ، فقال : « انما أبكي على مفارقة النفس للبدن ، بعد تألفها مدة طويلة » ٠

وفي قوله : ربما كرهت ، اشعار بأن من النفوس من لا يكره الموت ، حبا للقاء الله تعالى ٠

٤ ـ أنفت : الانفة ، الاستنكاف

البلقع : البلدة الخالية من النبات

يقول ان النفس الناطقة كانت تكره أولا مواصلة البدن ، لعدم المناسبة ٠ واستوحشت لانها لم تألفه ٠ ولكنها بعد أن أجبرت على الاتصال به فأذعنت وصحبته مدة طويلة ألفت مجاورته وأنست به ورضيت بمواصلته لانها علمت أنه آلة في تحصيلها الكمالات ٠

وقوله : واصلت ، اشارة الى التواصل بينهما ، لاحتياج كل منهما الى الاخر ، لانه آلة لها ، وهي شرف وعزله ٠ ووصف البدن بالخراب حال سلامته لما يؤول اليه من الخراب ٠

٥ ـ قوله : نسيت عهودا ٠ العهود جمع عهد ٠ ومعناها هنا الصحبة والمودة ٠ والحمى : موضع فيه ماء وشجر وعلف ٠ والمراد هنا ، عالم الارواح الذي هو في الروح والنزاهة مثل الحمى ٠

لم تقنع : أي لم ترض ٠

والمعنى : أظن أن النفس نسيت صحبة أهل الحمى ، ونسيت ديارا ما كانت ترضى بفراقها ساعة واحدة ٠ ولعلها بعد أن ألفت مجاورة الجسم « الذي عبر عنه بالخراب البلقع » نسيت عهودها بعالمها القديم ، وحماها الاصلي الذي كان يشق عليها فراقه ولا تعدل به سواه ٠ فلقد كانت في حظيرة القدس في ذلك الحمى المتلألىء بأنوار العظمة والجلال ، تتمتع في بحبوحتها بنعيم دائم وعيش رغد لا تحوط به آلام وأكدار ٠

٦ ـ قيل أراد بهاء الهبوط : المواد الجسمانية ٠ وميم المركز : العالم الروحاني ٠ وقيل أنه أراد بها تحركها من الملأ الاعلى ، وميم مركزها مقرها فيه ٠

وقيل أنه أراد بهاء الهبوط « الهيولي » ، وهو جوهر في الجسم قابل لما يعرض له من الاتصال والانفصال ، ومحل للصورتين الجسمية والنوعية ٠

وقيل أنه كنى بميم المركز عن المبدأ الاول المفيض عليها الوجود ٠

وقيل في وجه التعبير عن المواد الجسمانية بهاء الهبوط ، لان الهاء حرف ثقيل من أقصى الحلق ٠ فبينهما مشابهة من جهة الثقل ، ولان الهاء مركب من الدوائر الثلاث كالجسم الذي له أبعاد ثلاثة : طول وعرض وعمق

وعبر أيضا عن المواد الجسمانية في البيت الاتي بالثاء لانها ذات نقط ثلاث ، كالجسم الذي له أبعاد ثلاثة ٠ ولان الهاء والثاء مهموزتان ضعيفتان ، كالجسم فانه ضعيف بالنسبة الى الارواح ، لما يتناوب عليه من التغير ٠

الاجرع : مذكر الجرعاء ٠ وذات الاجرع : في اللغة رملة لا ينبت فيها شيء ، ولا يستقر فيها الماء ٠ ويراد بها الهيولى أو الجسم لانه مجدب غير مثمر ، وهو بدون حياة النفس قفر غير مخصب ٠

٧ ـ علقت بها : أي تعلقت بالورقاء ٠

ثاء الثقيل : أي المواد الجسمانية ٠

المعالم : جمع معلم ، وهو العلامة نفسها أو موضعها

الطلول : جمع طلل ، وهي الشواخص الباقية من آثار ديار الحي ومواضعهم ٠

الخضع : جمع خاضع ، وهو الذليل ٠

والمراد بثاء الثقيل، عالم الفساد أو الجسم الفاني الكثيف الذي علقت بالنفس أثر هبوطها اليه ومجاورتها اياه آثار ثقله ونتائج فساده وكثافته • فأصبحت بعد تعلقها به وارتباطها بهذا العالم الجسداني، والكون الثقيل الفاني، بين المعالم الجسمية المادية ـ بعد المعالم الروحية الادبية ـ والطلول الخاضعة لاعمال المادة، المتأثرة بكل المؤثرات الجوية وغيرها، والرسوم الموحشة الدارسة، العافية الطامسة ـ أصبحت غير قادرة على المفارقة، غريبة عن وطنها الاصلي لتقبل على تزيين تلك المعالم، وخفة هذا الثقل، وعمران تلك الطلول، بالعمل على ما يزيل جدبها ويبدلها من وحشتها انسا • فتعود مغتبطة بما أتاها الله من الحقائق، ومن عليها به من المعارف، مسرورة بحسن ما ابلت، وعاقبة ما جاهدت •

٨ ـ يقول ان النفس الفاضلة حينما تنظر الى حياتها الحاضرة، تجد أنها مكبلة بأغلال المادة، معرضة لنوائبها وبلوائها، فتتحسر على هذه الحال وتحزن أشد الحزن، وتتأثر أعظم التأثر، اذا ذكرت العهود التي أخذت عليها بالحمى العلوي، والوطن النوراني، والمعهد القدسي •

٩ ـ وتظل ساجعة : من سجعت الحمامة، اذا هدرت

والدمن : جمع دمنة، وهو ما بقي من آثار الدار من الاحجار • والمراد هنا : أجزاء البدن وقواه •

والرياح الاربع : الجنوب، تهب من ناحية القبلة، والشمال، مقابلها والصبا، ما تهب من ناحية المشرق والدبور تقابلها •

والمراد بالرياح هنا ـ كما قيل ـ الطبائع الاربع : الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة •

شبه ابن سينا الذكريات بما بقي من اثار الديار ورسومها لان النفس تشاهدها كأنها بيوت خاوية على عروشها تلك البيوت التي غادرها أهلها قبل أن يستوفوا حظوظهم منها فأخنى عليها الذي أخنى على لبد •

وقد تقرر في علم النفس الحديث وثبت لدى الروحيين أن الادراكات الباطنة التي لها منها أثر في النفس لا تزول بزوال البدن ولا تمحى، فالاعمال التي يعملها الانسان من خير أو شر تنطبع اثارها في النفس وتتكيف بحسبها الهوية الانسانية، وتأخذ شكلا خاصا يميزها عن غيرها من الارواح • فعناصر هذه الهوية اذا كانت حسنة يتمتع بها الشخص متاعا حسنا بعد الوفاة، وان كانت سيئة يكون بها عذابه، وتنشأ منها آلامه وأحزانه (١) •

ونعلم من هذا أيضا أن الانسان بعد وفاته لا يضيع هويته الذاتية ولا يندمج في الروح الكلية العالمية، بل يكون لهويته الشخصية طابع خاص يمتاز به على غيره وتكون هذه الهوية أشد ظهورا مما كان عليه في الدنيا، لان مميزا تالهيئات النفسية أعظم بكثير من مميزات الاجسام •

١٠ ـ أراد بالشرك الجسد، فكأنه شرك نصب للنفس حتى صادها، فحبسها في قفص هيكله الجسماني وقد افتتح القصيدة بتشبيه النفس بالورقاء، فناسب هنا أن يجعل الجسد الكثيف شركا، فبقيت النفس أسيرة هذا الشرك الكثيف وحبيسة هذا القفص، لا تقوى على الخلاص منه، ولا تقدر أن تستقل ناهضة الى حماها الاول ووطنها الاصلي •

الاوج : هو المكان المرتفع، أو أعلى الشيء، ضد الحضيض •

المربع : المنزل الذي يقام فيه، في الربيع •

هنا عبر ابن سينا عن عالم الارواح بالاوج الفسيح المربع، لكونه أعلى شأنا وهو في غاية الطهارة عن الكدورات الجسمانية، تطير في رحباته طليقة حرة، تغرد فيه بأطيب الالحان وأعذب الاناشيد •

١١ ـ يقول : حتى اذا دنا مسيرها الى حماها، وقرب رحيلها الى العالم القدسي، بعد طويل شوقها، وأليم حزنها، وقرب الاجل الذي قدر لها، فان القفص والشرك لا يمنعان حينئذ من أن تنطلق من سجنها، الى الحمى القدسي، وعالم الارواح الباقي، وتهاجر من عالم المادة والفساد، الى الفضاء الاوسع، والعالم

الارحب ، الذي تلاقي فيه جزاء سعيها ، وتجني ثمر كدها ٠

١٢ ــ حليف الترب : أي معاهدة بطول المكث فيه ٠

أي صارت مفارقة للبدن وأجزائه التي هي معاهدة التراب ٠

غير مشايعة : أي غير متابعة للنفس الناطقة ٠

يعني : رجع كل الى أصله ، النفس القدسية الى عالم الارواح ، والبدن الى التراب ٠ وهنا ينكشف عن النفس ــ بعد مفارقتها الجسد ــ الغطاء فتكون كمن خرج من الظلام الى النور فتدرك ما لا يتصور أن تدركه في حالتها الاولى ٠

١٣ ــ الهجع ٠ جمع هاجع ، وهو النائم ٠ والمراد هنا : نوم الغفلة ٠

يقول : لما حان ارتحال النفس من البدن ، هدرت شوقا الى عالم الارواح ، وأدركت من النعيم ما لا يدرك بالعيون الضعيفة الابصار ، كما قال تعالى : « فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » سورة ق : ٢٢ ــ ٠

١٤ ــ غدت تغرد : التغريد هو ترجيع الصوت ٠

ذروة الشاهق : رأس الجبل ٠

يقول : ان هذه الورقاء ، وهي النفس الناطقة اذا فارقت البدن وسكنت ذروة عالم الارواح ، غردت سرورا ، وترنمت بشاشة ، راضية مرضية ، وطيبة مطمئنة ٠ وهذا حال الطير اذا انطلق من سجنه ، يحلق في الفضاء حتى يقع على أرفع شاهق ، أخذا بالثقة لنفسه وتمتعا بالفضاء الذي حرم السبح في سعته ، ثم أخذ يغرد سرورا بخلاصه ، وفرحا بنجاته ٠

وفي قوله : والعلم يرفع ، اشارة الى أن الحصول على تلك الدرجات ، انما هو بسبب تحصيل العلوم الحقة، والتحلي بالفضائل ، والسعي الى الكمالات ٠

١٥ ــ قعر الحضيض : القعر غاية أسفل البئر ٠٠ الحضيض : ذيل الجبل ، أو المكان المنخفض ضد الاوج ٠٠ الاوضع : الاخفض ٠

وهذا شروع في السؤال عن الحكمة الباعثة على تعلق النفس بالبدن ، وهبوطها من عالم الارواح الرفيع الى عالم المادة الوضيع ٠

١٦ ــ طويت على الفذ : خفيت على الفرد الذي لا مثيل له ٠

الاروع : الشهم الذكي الفؤاد الذي يروعك ذكاؤه٠

١٧ ــ ضربة لازب : أي نوع لازم ومحقق لا شك فيه ولا بد منه ٠

١٨ ــ خرقها لم يرقع : مأخوذة من المثل السائر ــ اتسع الخرق على الراقع ــ (٢) ٠ أي جاوز الفساد الحد فلا يرجى اصلاحه ٠

والمعنى : ان كان هبوط النفس على سبيل الوجوب واللزوم ، لتسمع ما لم تكن تسمعه في عالم الارواح ، وتصير عالمة بخفايا الامور وحقائق الاشياء ، في العالم العلوي والسفلي ٠ اذ أن الكمالات العقلية عبر متناهية ، ولا يمكن حصول النفس عليها جميعها في مدة الحياة ٠

١٩ ــ قوله اذا غربت : المراد بالغروب هنا : انقطاع التعلق ٠٠ وبالطلوع : التعلق بالبدن ٠ وهو اشارة منه الى اتساع الخرق ٠

٢٠ ــ تألق بالحمى : التألق : اللمعان ٠ الانطواء : الانطفاء ٠

يقول ان اتصال النفس بالبدن واقامتها في عالم الجسد ، وحلولها فيه ، ثم انقطاعها وارتحالها عنه ، بمنزلة برق لمع وأضاء ثم انطوى وخفى ، وانقطع عن التألق والوميض ، في قلة الزمان ٠

والغرض من التشبيه ، التمثيل لقصر المدة التي تقيمها في هذا العالم ، وان حياة الانسان مهما طالت وامتد بها الاجل أشبه ببرق تألق ثم سكن ٠

٢١ ــ قوله : ذات تشعشع ، أي ذات اتقاد وانتشار غير منحصرة في واحد من العلماء حتى اذا لم أعلم أنا وجه الحكمة في هبوط النفس ، لم يعلمه غيري ٠

ويشير هذا البيت الى قول أرسطو : « يا مفيض الكل

أنهيت كل فرد الى أصله » . وقول بقراط حين شرب السم :

« أخلص أخلص يا كثيف ، واصعد يا من لم يقبل الادناس»
وقول فيثاغورس : « الملك واحد والحياة عنه والاقسام

اثنان وكل ما خرج من شيء عائد اليه » . وقول

السهروردي : « يا نور الانوار فرق وارفع » .

★★★

ان المعاني هنا ـ في هذه القصيدة ـ ليست محصورة

في الالفاظ وقوالب الجمل والتراكيب ، بل هي ادراكات

معنوية بالغة من الدقة والاحاطة والتبيان أقصى مداها .

ففي الابيات الاخيرة من القصيدة سؤال وجواب عن حكمة

نزول الروح وتعلقها بالبدن ، وان هذا حكم أزلي لتعلم

ما لم تكن تعلم ، وتسمع ما لم تسمع ، ولتكتسب الكمال

الانساني ، لانها وان كانت جليلة الصفات نقية الجوهر ،

الا أنها ساذجة عما يضرها وينفعها . ومن القضاء والقدر

الالهي أنها لا تكمل الا اذا تعلقت بذلك البدن لتكسبه

الجلال ويكسبها المعرفة ولتصغي الى الالحان والاصوات

لتعلم أنها جزء من صرير الافلاك الشريفة وتستدل بذلك

على العظمة الالهية .

وجدير بالذكر أن أستاذنا الجليل السيد محمود أبو

الفيض المنوفي رد على تساؤلات الرئيس ابن سينا بقصيدة

سماها « نشيد الارواح » أفصح فيها عن سر ما سأل عنه

الفيلسوف الكبير من حكمة هبوط النفس الى عالم الكون
وموطن النقص ، بعد مجاورة عالم القدس .

كما أن هناك أيضا كثيرا من القصائد في النفس منها

ما يجاري فيها أصحابها قصيدة ابن سينا العينية ومنها

ما يعارضها ، وكل له وجهة نظره الخاصة .

ومن هذه القصائد قصيدة لسيدي ابي العباس المرسي
المتوفى سنة ٦٨٥هـ . وقصيدتان للسهروردي . وقصيدة

لشيخ الحويزي المتوفى سنة ١٠٥٣ هـ وهو من أفاضل

تلاميذ الشيخ بهاء الدين العاملي ، وقصيدة لامير الشعراء

المرحوم أحمد شوقي . وقصيدة للمرحوم حسان حليم

دموس . وقصيدة للاستاذ الدكتور محمد رجب البيومي

الاستاذ بكلية اللغة العربية بالرياض ـ أمد الله في عمره

ونفعنا بعلمه وأدبه .

ولقد سبق أن قلنا أن الكلام عن النفس وخلودها قد

تضاربت فيه الاراء والمذاهب ، والامثلة على ذلك كثيرة

جدا كما رأينا . وكذلك هذه القصائد التي نوهنا عنها

تعتبر كأمثلة أخرى على هذا الخلاف في الرأي ويمكن

الرجوع اليها في مصادرها .

عبد العزيز جادو

الاسكندرية

● لقد عني بهذه القصيدة العلماء في كل عصر شرحا
ونقدا وتعليقا . وشروحها كثيرة ، منها : شرح ابن عربي

المتوفى سنة ٦٦٨ هـ في ـ عيون الانباء ـ وابن خلطان
المتوفى سنة ٦٨١ هـ في ـ وفيات الاعيان ـ واليافعي

المتوفى سنة ٧٦٨ هـ في ـ مرآة الجنان ـ ، والدميري
المتوفى سنة ٨٠٨ هـ في ـ حياة الحيوان الكبرى ـ ،

والشيخ داود الانطاكي الاكمه المتوفى سنة ١٠٠٨ هـ ،

والبهاء العاملي المتوفى سنة ١٠٣٠ هـ في ـ الكشكول ـ

وعبد الرؤوف المناوي المتوفى سنة ١٠٣١ هـ في ـ شرح
العينية ـ ، وابن العماد المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ في ـ شذرات

الذهب ـ ، والسيد نعمة الله الجزائري المتوفى سنة ١١١٣
هجرية في ـ مقامات النجاة ـ والسيد عباس المكي الحسيني

المتوفى سنة ١١٤٨ هـ في ـ نزهة الجليس ـ .

وترجمها الى الفرنسية المستشرق ـ البارون كارا دي فو ـ
في « المجلة الاسيوية » ٩ ، ١٨٩٩ .

١ ـ للامام الغزالي كلام كثير لطيف في هذا الباب
الذي يطبق فيه حقائق الشرائع الصادقة على العقل السليم
وعلم النفس الحديث .

٢ ـ وهو من قول ابن حمام الازدي :

كالثوب ان أنهج فيه البلى

أعيا على ذي الحيلة الصانع

كنا نداويها وقد مزقت

اتسع الخرق على الراقع

راجع « جمهرة الامثال » ص ٤٢ .



على ذرا السبعين ، يستريح ضمير الشاعر الكبير محمود أبي الوفا من رحلة العمر ، والى الوراء منه حصاد نصف قرن من الاغاني المرتلة شعرا ، وياله من ضمير قانع بالحظ الضنين الذي كتبته المقادير لصاحبه ، ذلك الشاعر الملهم الذي يعتقد أنه أدى رسالته وختم كتابه ولم تعد دنيانا الشعرية تطمع منه في مزيد .

ومع شيخوخة البدن العاتية ، فان فتوة الشعر المنجاب ما زالت تلازمه ، فاذا شعر الجديد متدفق كالعهد به ، واذا المعاني ذوات الطرافة تتوارد في أغنياته ، حتى وان اتسم شعره الاخير في كثرته الغالبة بسمة التوديع : توديع الشاعر لكل ما رافق حياته من أسباب مسعدة ، وهي قليلة شحيحة ، وأسباب موجعة ، وما أوفر ما قسم له من حظوظها .

فاذا نودي اليوم بتكريم الشاعر أبي الوفا قبل أن يخلي مكانا بيننا ، كنت من جملة المزكين ، وسقت في سبيل ذلك حيثيات تمثل خلاصة الخلاصة لحصاد هذا الشاعر ، هي :

أولا – لقد أدى الشاعر محمود أبو الوفا رسالة العبقرية في ميدان موهبته الاصيل ، وهو الشعر ، فأخلص له ، وخلص لفنونه ، ولم يغادر ميدانه أكثر من خمسين عاما ، ولم يقل الا الفصيح المطرب من الشعر العربي

الوجه ، العربي الاداء العربي المعاني ، العربي الروح ، العربي المأرب ، الذي هز حتى شوقي أمير الشعراء ، فقال في وصفه :

البلبل الغرد الذي هز الربـــا
وشجا الغصون ، وحرك الاوراقا

سباق غايات البيان جرى بلا
ساق فكيف اذ استرد الساقا

وفي هذا تلميح رقيق من شوقي الى أن الشاعر يدب على ساق واحدة منذ طفولته التاعسة · وحتى حين سافر أبو الوفا الى باريس للعلاج في العقد الثالث من هـــذا القرن ، لم ينس في مرضه وطنه ، وطن الفصحى ، وطن الضاد ، وطن العرب العرباء · فوقف في جمع من مكرميه يقول :

وطني هو الفصحى ، فكل بلادها
في مصر أو في الشام هن بلادي

هذا هو الوطن الذي أحيـــا له
وله أوالي صادقـــا وأعـــادي

ما نمت الأن تكـــوني حـــرة
في مصر ، في لبنان ، في بغـــداد

ولم يقل الشاعر أبو الوفا هذا الكلام المردد كبوق من أبواق جعجعات الدعاية ، أو كصدى من أصداء التيارات السياسية الجارية ، بل قاله في ذلك الحين البعيد مبتدعا رائدا ، مبشرا بأن العروبة أمة واحدة ، وأن لسانها هو الفصحى ، وأن رسالته كشاعر هي أن يحيا لهذا الوطن العربي المجيد ، يواتيه صادقا ، ويريد له الحرية في كـــل مكان · ولكأن أبا الوفا في هذه الالهامة الشعرية نبي سبق زمانه ، فقام يبشر الناس بالعروبة ويزفهم اليها وهم عنها بالاقليمية غافلون · ولم تشب ايمانه شائبة من الغرض أو الزلفى أو المسايرة العابرة ·

فالشاعر محمود أبو الوفا شاعر عربي قح ، لم يعرف في شعره العجمة ، ولا تأثر في وضوح معانيه بالرمزية الوافدة ، ولا تراقصت أنغام شعره الا على أعرق التلاحين عروبة ، ولا استعار معنى فرنجيا ناشزا أقحمه على السليقة العربية المبينة التي هو عنها معبر ، فهو من موطن العرب نشأ ، وبقيم العرب آمن ، وبلسان العرب تغنى ، وكـــان في كل شعره طلاعا الى القمم ، فشارفها بل بلغها في ابداع عبقري ·

ثانيا : ان الشاعر محمود أبو الوفا استن لنفسه في الشعر مذهبا قوامه الحب والانسانية والشفافية · ومنذ ما نشر قصيدته الاولى الموسومة « الايمان » عام ١٩٣٠ ، ثم واصلها بقصيدته الموسومة ــ أمواج ــ عـــام ١٩٥١ ، وأردفهما بديوان عنوانه ــ عنوان النشيد ــ عام ١٩٥١ ، وبديوان ثان عنوانه ــ النشيد ــ عـــام ١٩٥٢ ، والشاعر يعيش تجربة انسانية فريدة متكاملة يريد بها أن يختصر الحياة كلها في هـــذا المذهب الثلاثي الركائز ، حيث الحب ناموس مرعي ، والانسانية جامعة شاملة ، والشفافية تطهر القلوب من مفازع الشرومنازعه· وقد أجمل أبو الوفا هذه الفلسفة في بيت من الشعر نقشه على لوحة رخامية أوصى بوضعها على قبره يقول فيه :

حبي ، اذا الحب أضناني فمت هوى
أن يذكروني قالوا كان انسانا

فالشعر الذي يعرضه محمود أبو الوفا في دووابنه ــ أشواق ــ و ــ الاعشاب ــ و ــ أنفاس محترقة ــ و ــ أناشيد دينية ــ و ــ أناشيد عسكرية ــ و ــ عنوان النشيد ــ و ــ النشيد ــ و ــ شعري ــ ، هو دعوة صارخة الصوت الى المحبة والانسانية والشفافية الروحية ، حتى لتراه يمشي بين الناس متوكئا على عكازته باحدى يديه ، حاملا قلبه على الاخرى ، مناديا القوم أن كانوا أيقاظا :

أمشي وقلبي على كفي أقول : ألا
من راغب في فؤاد صادق حان ؟

يحب حتى كأن الارض ليس بهـــا
الا زنابق من آس وســـوســـان

وليس في الارض من بغض ولا أحن
وليس في الارض من ظلم وطغيان

وليس من فوقهـــا الا سواسية
من الصحاب ومن أخدان أخداني

فهذه الابيات القليلة قد اعتصرت واستصفت جميع القيم الاخلاقية المثلى لمجتمع فاضل ، وقدمتها أكســير حب تتداوى به النفوس الكليمة من أوصابها ·

فأبو الوفا شاعر انسان ، تتمجد في شعره المعاني الانسانية الفضلى ، وتتجسم في حياته في أبهى صورة ، وان كانت الحياة لم تعطه الا البؤس والداء ووهن البصر وألوان الشقاء ، تحملها جميعا صابرا متساميا ، بهمة تتأبى على الخمول ، وكبرياء تعلو بصاحبها فـــوق

خصاصات الحياة ، وشرف أضاء حياته المتوهجة بالخير ، وعزيمة لم تقعدها الصخور الحاطة في طرقاته ، والعكازة التي ناءت بحمل آمال هذا الشاعر المحلق ٠

ثالثا : ان الشاعر محمود أبو الوفا ، وقد أعطى وطنه وأمته ولغته وفنه عطاء جزيلا خالصا شريفا مدة أربت على نصف قرن ، لم ينل من مجتمعه الا الجحود والكنود ، والنسيان والاهمال ٠ فالشاعر الفذ الذي تعرفه المهاجر في سحيقات البرازيل والارجنتين ، والذي تتغنى بشعره هضاب الجزيرة ووديانها ، والذي ترجمت قصائده الى الانكليزية والاسبانية والايطالية واليونانية والالمانية ، والذي تناهت شهرته الى ديار الشآم والى دنيا العرب من الخليج الى المحيط ، والذي غنى له عبد الوهاب قصيدة ــ عندما يأتي المساء ــ هذا الشاعر قد تحالفت عليه أسباب النسيان حتى عده معاصروه غائبا ، وان كان بكل شعره وحياته حاضرا في دنيانا الادبية ٠ فجميع المناسبات الادبية قد تخطته ، كما أخطأته الجوائز ، ونسي في هيئات الادب والشعر ، وأغفل في الدراسات الادبيـــة بل ثبط بعض أساتذة الجامعات همم الطلاب الراغبين في اعتماده موضوعا لاطروحات الماجستير والدكتوراة ، ثم قد هوجم في فجر حياته بأعتى ما يكون هجوم الناقدين الشرسين ٠٠٠٠٠ هذا الرجل ، الذي هو في القمة أدبا ورسالة وخلقا ، لا يصح في عرف الجماعة الادبية الواعية المنصفة أن يمضي من الحياة دون تكريم يعوضه عن مغالطات الجماعـــة ومغالطات الباحثين ٠

فتكريم أبي الوفا قد يكون تكريما لفرد ليس يزعم أنه على رأس مدرسة يؤتم بها ، أو أنه تزعم فئة مـــن المريدين ، ولكنه في جوهر حقيقته تكريم للقيم والمثل التي تشع في حياة أبي الوفا وتحتشد في دواوينه احتشاد الجواهر في متحف ٠

فالشاعر الذي سبق يومه وتعجل نهايته فوقف يطربن نفسه قائلا :

في ذمة الله نفس ذات آمـــال
وفي سبيل العلا هذا الدم الغالي

بذلته لم أذق، في العمر واحدة
من الهناء ولا من راحة البـــال

كأنني فكرة في غـــير بيئتها ،
بدت فلم تلق فيها أي اقبـــال

ان هذا الشاعر الذي حسب نفسه فكرة في غير بيئتها ، أو أنه جاء الى الحياة عن غلط فلم يصادف في مأهول رحبها مكانا يأنس فيه واليه ٠٠ ان هذا الشاعر الذي قال في مرارة مميتة :

أحب أضحك للدنيا فيمنعني
ان عاقبتني على بعض ابتساماتي

ان هذا الشاعر الذي يقول عن نفسه :

ولو أنني أعطيت بؤسي حقـــه
وصفا لصور معرض النكبـــات

وغدوت في الدنيا ولا أدري أمن
أحيائها أنا أم من الامـــوات

لا يصح في مقاييس حياتنا الادبية المنصفة أن يعيش الايام القليلة الباقية من عمره دون أن تبتسم في وجهه أمة الضاد التي وهب لها حياته ، ودولة الفكر التي هو من أعز أركانها ،فتمسح من جبينه تراب الكفاح الادبي ، وتهيىء له لا أسباب العيش الكريم ، فهذا ترف لم تعـــد أعباء السبعين الثقال تطمع فيه ، بل أسباب التداوي من الاسقام الملازمة والمفاجئة ، وأعتاها داء القلب ٠

ومن أبغض الوصمات التي تلصق بهذا الجيل أن محمود أبو الوفا شاعر الفصاحة والجزالة ، شاعر الحب والانسانية ، شاعر الانسان الذي تكاملت فيه الفصـــول الزمنية الاربعة ، صاحب الدفق العاطفي الحار ، والدفء الانساني الصادق ، قد عاش كل هذا العمر دون أن يذوق واحدة من الهناءات ولا من راحة البال ، وأنه وان كان قد خلف لنا كل هذا التراث الشعري الخصيب بأخيلتـــه وعواطفه وأحلامه الطامحات ، لم يصادف تكريما هو به حقيق ، وله أهل ٠

وعلى الرغم من هذا الذي عاناه أبو الوفا ، فان شعره لم ينطق بتجديف بل بشكران ، وها هوذا يقول :

والله ، لو بيدي ، لما ترك أمرؤ
ذو حاجة الا له نولتها

كما يقول :

الحب أول دين كنت أوثـــره
لو خيروني على ديني وايمانـــي

ولو أخير في الاقــوام أيهمـو
أحق بي ، قلت كل الناس اخواني

يا صاحبي ان تسل عني أنا فأنا
يا صاحبي لست شيئا غير انسان

كن حيث شئت فاني لا أراك سوى
انسان عيني ، والا عين انساني

بهذه الروح المحتفية لا المتذمرة ، يرد أبو الوفا على جحود الدنيا المتطاول ، ويالها من روح نادرة الصفاء ٠

رابعا : ان الشاعر محمود أبا الوفا ، برغم تواضع مؤهلاته العلمية ، اذ أنه لم يأخذ من أنصبة التعليم الا سنوات قليلة في المعاهد الدينية ، فقد استطاع بعصاميته الصلبة أن يحقق « ديوان الهذليين » ، ولم تكن تحت يده الا مخطوطة واحدة معيبة كثيرة الاغاليط ناقصة الصفحات٠ كما صاغ باللغة العربية نص رواية ـ جريمة سان سلفستر دي بونار ـ ، فقال ناشرها الياس انطون الياس صاحب المعجم المشهور ان هذه الصياغة العربية الدقيقة الجميلة ضاهت النص الافرنجي ، ومن ثم وضع اسم أبي الوفا على الكتاب بوصفه مترجمه مع أنه لا يعرف من لغى الفرنجة حرفا ٠

ولابي الوفا كتاب مخطوط عنوانه ـ هؤلاء أبنائي ـ يمثل منهاج عقيدته في الحياة من خلال سيرته الذاتية ، وهو في الادب فتح جديد لو قدر له أن ينشر على الملأ ٠

وقد أوصى الشاعر شوقي بألا ينشر شعره بعد وفاته الا بمراجعة وتحقيق محمود أبي الوفا ، اطمئنانا من هذا الشاعر العظيم الى القدرة الادبية المكينة لابي الوفا، والى ذوقه المرهف في اختبار رنين الالفاظ واختيار العبارات الموسيقية برشاقة ذوق ٠ وما كان شوقي ليمحض أبا الوفا هذه الطمأنينة المطلقة لولا أنه أوتي قدرة مستبصرة على اكتشاف حقيقة هذا الشاعر المرجو ، وعلى التنبؤ له بمقام عليٍّ في دنيا الشعر ٠

فأبو الوفا ذو كفاءات أدبية متعددة ، ان نمت على شيء فعلى أنه ابن الضاد البار الذي تربى في حضنها ، ونهل منها ، وتعمق في دراسة فلسفتها ، واستطاع أن يحمل ميزانا رهيفا هو هاديه في الشعر وفي النثر ، وفي الصوغ وفي التحقيق ، وفي الكتابة ، بل حتى في حديث المشافهة ٠

فتكريم أبي الوفا هو تكريم للعصامية ، فضلا عن العبقرية ٠ وهو تكريم للجهد الادبي الخلاق المبذول للامة حلالا طوال نصف قرن ٠

وكأنه عني نفسه حين قال :

سل كل مصر على ما كان يصنعه
لمصر والشرقمن خير واحسان

ثم انتظر برهة أخرى وقل عجبا
أكل هذا ، ولا يجزى بشكران ؟

عقتكمصر أو استرضتك، أنت على
أي احتمال لها مبعوث عرفـــان

وأي تكريم لابي الوفا ـ وقد سقنا الحيثيات المسوغة له ـ هو تكريم خالص لوجه الشعر والادب والقيم الخلقية٠ فلئن انتمى أبو الوفا في حياته الى جمعيات أدبية ، فقـــد بقي دائما فريدا بموهبته ٠ مستقلا بأصالته ، كبــيرا بطاقته الشعرية ٠ فتكريمه ليس مجاملة لمنصب ، ولا لهيئة هو من غشاتها ، ولا لجماعة ينتسب اليها ، ولا للقب هو حامله ، وانما يجيء تكريمه منبعثا من تقدير الادبوالفن لادبه وفنه ، وهو تكريم يؤكد أن أمة العرب بصــيرة النظرات ، تعرف مختبئات العباقرة ، ولا تغيب عنها جهود العطاء المبذولة في صمت في محراب الشعر والفن ٠ فمحمود أبو الوفا شاعر عظيم ، وفنان عظيم ، وانسان عظيم ، ولمثله تسعى جوائز التقدير وآيات التكريم ، اليوم لا غدا ٠

ابن قيم الجوزية

د. صبحي الصالح

هذا الامام السلفي الكبير اشتهر بابن قيم الجوزية ، لان أباه كان في دمشق قيّما على مدرسة « الجوزية » ، ومن أطلق لقبه عن الاضافة دعـاه « ابن القيّم » ٠ أما اسمه فهو محمد بن أبي بن أيوب بن سعد بن حريز الزّرعي الدمشقي ، أبو عبد الله ، شمس الدين ٠

ولد ابن قيم الجوزية في بيت علم وفضل ، في السابع من صفر الخير سنة احدى وتسعين وستمائة ، وتوفي وقت عشاء الاخرة ليلة الخميس الثالثة عشر رجب سنة احدى وخمسين وسبعمائة ، فأتم ستين عاما من عمره المبـارك الميمـون ٠

كانت لابيه يد في الفرائض فأخذها عنه ، وأتيح له أن يتلقى العلوم المختلفة على أكابر الشيوخ من الحفّاظ والفقهاء ، فقرأ الفقه على ـ المجد الحراني ـ ، والاصول على ـ الصفي الهندي ـ ، والعربية على ـ أبي الفتح ـ و ـ المجد التونسي ـ ، وكان له حظ كبير من السماع من ـ الشهاب النابلسي ـ ، و ـ عيسى المطعّم ـ ، و ـ اسماعيل بن مكتوم ـ ، و ـ أبي بكر بن عبد الدائم ـ

و ـ القاضي تقي الدين سليمان ـ و ـ ابن الشيرازي ـ ، و ـ فاطمة بنت جوهر ـ وغيرهم • أما شيخه الاكبر الذي ترك في نفسه أبلغ الاثر فهو شيخ الاسلام الامام المجدد تقي الدين أحمد بن تيمية ، الذي لازمه زهاء سبع عشرة سنة منذ عاد من مصر سنة ٧١١ ، حتى مات ، **وأخذ عنه في هذه الصحبة الطويلة معظم علمه ، حتى قرن اسمه باسمه ، وذهب صيت الرجلين في آفاق الدنيا بسعة العلم ، وأصالة الفكر ، وذكاء النقد ، وشجاعة القلب ، والاخلاص في دعوة الناس الى الصراط المستقيم •**

ولقد غلب على ابن القيم حبه لشيخه ابن تيمية ، حتى كان ـ **برغم اعتداده بآرائه الشخصية** ـ لا يكاد يخرج عن شيء من أقوال ذلك الامام المجدد الكبير ، وفيما نقله في مصنفاته الكثيرة من نصوص شيخه أبلغ شاهد على ولوعه بآرائه وانتصاره لمذهبه في جميع الميادين •

وكان لابن القيم ، حتى في حياة شيخه ، تلاميذ يأخذون عنه ، ويكبرون علمه ، ويقصدونه للافتاء : فقد تصدى للتدريس في ـ الصدرية ـ ، فحضر عليه فيها ابنه عبد الله ، الذي تولى مكانه التدريس في تلك المدرسة بعد وفاته ، وأخذ عنه العلم ابنه الاخر الحافظ ابراهيم ، وانتفع به الفضلاء كابن عبد الهادي وشمس الدين محمد بن عبد القادر النابلسي صاحب ـ مختصر طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ـ ، والحافظ ابن رجب صاحب ـ ذيل طبقات الحنابلة ـ • حتى ابن كثير صاحب ـ البداية والنهاية ـ كان من تلاميذه وأثنى عليه في ترجمته له أطيب الثناء •

وان هذه الكلمة ـ وان تك عجلى عن شيوخ ابن القيم وتلاميذه ـ لتصور لنا البيئة العلمية في عصره صورة مشرقة زاهية : فالائمة والحفاظ يتصدون للتدريس والافتاء والمدارس كثيرة ، والاستعداد لتلقي العلوم فيها كبير ، ولا شي يشغل الناس جميعا كالعلم والتعليم •

ومن يقرأ ما كتبه المقريزي في ـ خططه ـ والنعيمي في ـ الدارس في تاريخ المدارس ـ ، يستنتج أن مصر والشام في عصر ابن قيم كانتا تعجَّان بدور التعليم : فلتحفيظ القرآن وقراءاته معاهد ، وللحديث وعلومه مدارس ، وللمذاهب المختلفة أبنية ودور : كان في مصر جامع عمرو بزواياه المختلفة ، **والجامع الازهر ، وجامع ابن طولون ، وجامع الحاكم** ، وما كانت تلك المساجد في الديار المصرية الا مدارس ومعاهد • وحسبك أن الجامع الازهر ـ عمَّره الله ـ لا يزال جامعة علمية كبرى ، يفد اليها المسلمون من أقطار المعمورة ليتلقوا علوم الدين • والى جانب تلك الجوامع ـ أو الجامعات ـ كانت تقوم المدارس الكبرى : **كالصلاحية ، والكاملية ، والمنصورية ، والناصرية** • وكانت في الشام **الظاهرية** ، وتجاه بابها المدرسة **العادلية** الكبرى ، **والجوزية** التي كان ابن القيم يؤم الناس فيها وكان أبوه قبله قيِّما عليها ، والصدرية التي درّس فيها ابن القيم وتولى ابنه بعده منصب التدريس ومدارس كثيرة أخرى لا يتسع المقام لذكرها •

وان بيئة علمية كهذه البيئة التي عرفها عصر ابن القيم لا بد أن يكون لها في توجيه المتعلمين أثر كبير ، وما كان ابن القيم ليفلت من ذاك التأثير ، فقد كان له من الهمة ما يسيره ويرقيه ، ومن العلم ما يبصره ويهديه ، فاطلع على مسائل الخلاف ومذاهب السلف ، واشتغل بالتفسير والحديث والفقه وعلم الكلام وعلوم العربية ، وعرف الكثير من الملل والنحل ، وعن التصوف والمتصوفين ، **وما وقعت يده على كتاب الا اقتناه حتى حصَّل منها ما لا يحصى عددا ، فكان أولاده يبيعون منها بعد موته دهرا طويلا** • وكتب ما لا يوصف كثرة في جميع الفنون ، فشهد له العلماء بالفضل والمعرفة والحكمة حتى قال فيه برهان الدين الزّرعي : « **ما تحت أديم السماء أوسع منه علما** »•

وقد أحصى له مصحح كتابه ـ روضة المحبين الاستاذ أحمد عبيد أكثر من ستين كتابا في مختلف العلوم والفنون، فأرجع

ان شئت الى مقدمة التصحيح في الكتاب المذكور ، ثم أضف الى ذلك تحقيقنا لكتابه ـ أحكام أهل الذمة ـ ، اذ لم يكن أحد يعرفه بين مؤلفات ابن القيم ، قبل نشرنا اياه ·

ومن خلال المطبوع فقط من كتبه ـ بعد تصنيفها تبعا للاغراض والفنون ـ تتراءى للناس شخصية عالم كبير، واسع الثقافة ، عميق التفكير فله في الفقه وأصوله موسوعته الضخمة ـ أعلام الموقعين عن رب العالمين ـ ، ثم ـ الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية ـ ، و ـ اغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان ـ و ـ تحفة المودود في أحكام المولود ـ، و ـ حكم تارك الصلاة ـ ، وأحكام أهل الذمة ـ ·

وله في علم الكلام : ـ اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية ـ ، و ـ حادي الارواح الى بلاد الافراح ـ ، و ـ كتاب الروح ـ ، و شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ـ ، و ـ هداية الحيارى من اليهود والنصارى ـ و ـ الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية ـ ، وهي قصيدة له نونية من الشعر التعليمي ·

وله في التاريخ والسيرة : « زاد المعاد في هدى خير العباد ـ ، وفيه مسائل فقهية وأحكام شرعية استنبطها ابن القيم من سيرة خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام ·

وله في فنون البيان ـ التبيان في أقسام القرآن ـ ، و ـ الفوائد المشوقة الى علوم القرآن وعلم البيان ـ ·

وله في أحكام القرآن ممزوجة بمسائل الفقه وأبحاث اللغة : ـ بدائع الفوائد ـ ·

وله في الحديث ـ جلاء الافهام في ذكر الصلاة والسلام على خير الانام ـ وبيان أحاديثها المعلومة · وفي كل كتبه تبرز مقدرته في علوم الحديث ·

وفي التصوف ممزوجا بالمواعظ والرقاق والاحكام على طريقة السلفيين : ـ مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين ـ ،وهو شرح لكتاب ـ منازل السائرين ـ للهروي ، و ـ عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ـ ، و ـ روضة المحبين ونزهة **المشتاقين** ـ ، و ـ اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ـ ، و ـ **طريق الهجرتين** وباب السعادتين ،ـ و ـ **الوابل الصيب** من الكلم الطيب ـ ، و ـ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ـ ·

وقد يكون عسيرا على الباحث تسمية شيء من كتب ابن القيم باسم موضوعي خاص : اذ لم يغلق عليها لون خاص فتنمى اليه ، فما كتبه في علم الكلام لا يخلو من المسائل الفقهية ومن المواعظ المرققة للقلوب ، وما كتبه في الفقه وأصوله لا يبرأ من الابحاث الكلامية ومن المواعظ أيضا ، وما كتبه في السيرة لم يقصد به حوادث التاريخ لذاتها ، بل لهداية النفوس الى الخير ودعوتها الى التأسي بخاتم النبيين عليه الصلاة والسلام ، وحتى ما كتبه في المواعظ والرقاق لم يكن أخبارا تروى على طريقة القصّاص والوعّاظ ، بل أبحاثا عميقة في شؤون الكون والحياة والانسان تنبث خلالها أحكام الشريعة وأسرار تلك الاحكام ، ولا عيب في ذلك ، فهذه خصائص المدرسة السلفية يمثلها ابن القيم خير تمثيل في مزج التشريع بالتوجيه ، اقتداءا بابن تيمية ذي الفكر النير والقلب الكبير ·

وكان يسود عصر ابن القيم التعصب المذهبي الذي أذكت ناره الحروب الصليبية ، وقد استمرت قرنين كاملين ـ من سنة ٤٩٠هـ الى سنة ٦٩٠ هـ ـ ، وعاش ابن القيم في العصر الذي تلا تلك الحروب ، بل كان مولده بعد عام واحد من وضعها أوزارها ، وبعد ذهاب الالوف من الارواح البريئة ضحايا لها ·

لقد رأى ابن القيم ما خلّفته تلك الحروب من التدمير والتخريب ، وان لم يتح له أن يعيش فعلا في جوها الرهيب ، وانطبعت في نفسه صورة قاتمة مكفهرة عن غدر الذميين لها سند من التاريخ مهما يكن قد غلا فيها ، فقد

كان أهل الكتاب المجاورين في الاراضي المقدسة مع اخوانهم اللاتين ، وكان بعضهم عيونا لهؤلاء على المسلمين ، فخانوا عهود الذين آووهم وحموهم وحموا معابدهم ومعتقداتهم وتقاليدهم ، وانضموا الى أعدائهم يؤلبونهم على حرب المسلمين ٠

ثم كانت المصيبة الدهياء التي ما أصيب الاسلام بمثلها قط : يوم غزا التتار البلاد الاسلامية وخربوا بغداد في منتصف القرن السابع ، وما مروا بشيء الا جعلوه كالرميم : تلك الحادثة التي بقي المؤرخ ابن الاثير معرضا عن ذكرها استعظاما لها ، ثم قال عنها بمرارة بالغة ، بعد تردد طويل : « من ذا الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الاسلام والمسلمين ؟ ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك ؟ فيا ليت أمي لم تلدني ، ويا ليتني مت قبل هذا ، وكنت نسيا منسيا » ٠ ففي تلك الحادثة العظمى ، وقف الذميون مرة أخرى يؤلبون التتار ، أعداء الدين ، على المسلمين ، ولم يكن بد من أن يحترس المسلمون من مكائدهم ، فنادى المعلم الكبير ابن تيمية بالزام الذميين بالغيار وشدد عليهم النكير ، وتابعه على ذلك تلميذه ابن القيم ، فدعا على الكفار بالويل والثبور ٠

ولقد تشابه الشيخ والتلميذ في كثير من الاتجاهات ، وكان أهمها كرههما للتقليد ، فمع نشأتهما على المذهب الحنبلي لم يأخذا به الا فيما أيدته نصوص الكتاب والسنة، اذ كانا يدعوان الى الرجوع لما كان عليه السلف الصالح من رد كل نزاع الى الله والرسول ٠

حارب الرجلان تلاعب المبطلين بالدين تحت ستار ـ الحيل الشرعية ـ وقاوما الجمود الفكري في فهم حكيم للتشريع وسعيا لجمع العالم الاسلامي كله تحت راية واحدة تنقذه من التعصب المذهبي ، وتضمن له الامن والاستقرار ، وامتاز التلميذ عن الشيخ بهدوء الطبع ، فلم يرث عن شيخه حدته ، وظهرت آثار هذا الهدوء في كتاباته ، اذ جاءت عميقة الفكرة ، منسقة التبويب ، مهذبة الاسلوب ٠

وابن القيم ، فوق هذا ، كان ذا أشواق روحية ، لا على طريقة من حاربهم من غلاة المتصوفين بل على طريقة الزهاد السلفيين ، لانه آمن بالعلم اللدني الذي تشرق به بصيرة العابد بالالهام ، وعده ثمرة العبودية والرياضة الروحية ، وفق أصول الشريعة ٠ لكنه في تنسكه كان يعمل بما ثبت عن النبي ، صلوات الله عليه ، في صلاته وذكره ودعائه ، فكان ذا عبادة وتهجد وطول صلاة ، ولهج بذكر الله وشغفه بحبه ٠ وقد زاده اقبالا على العبادة حبسه مع شيخه ابن تيمية بالقلعة ، بعد أن أهين وطيف به على جمل وهو يضرب بالدرة ، وذلك أنه أنكر شد الرحيل لزيارة قبر الخليل ٠ ولقد حبسوه مع شيخه منفردا عنه ، ولم يفرجوا عنه الا بعد موت الشيخ ، فاشتغل طوال مدة حبسه بتلاوة القرآن والتدبر والفكر ، وفتح عليه من ذلك خير كثير ، ولعل ما ألفه من الكتب ذات النزعة الصوفية ما أبصر النور الا في غيابة السجن ، اذ كان منيبا الى ربه العلي القدير ٠

رحم الله ابن القيم ، ورضي عنه وعن شيخه المجاهد ابن تيمية ، وعن كل عالم سلفي مخلص غيور ، يناصر الكتاب والسنة ، ويقاوم الضلالة والبدعة ، ويجاهد في الله حق جهاده ، ويدعو الامة الى الصراط المستقيم ٠

ريتا بيك .. في فيتوريطب

مصطفى الخش

ـ ١ ـ

هبط ، ليلا ، الطابق السفلي • عينـاه تتقدان بالشرر • ذقنه خشنة كالقنفد • أرخى لحيته القصيرة ، الى أن يثار لنفسه ولرفاقه •• في صدره بركان يريد أن ينفجر •

صعر خديه في عتبة الملهى • انتحى زاوية • دل الساقي عليها ، قبل أن يخرج لفافة التبغ من جيبه • تطلعت اليه شزرا • وبعد أن تفحصته جيدا ، أقبلت عليه بكبر واحتشام • مشيتها لا تنبيء عن مهنتها • فجأة مادت به الارض • الجمال له قوة الصاعقة • وجهها مستدير كالبدر وعيناها زرقاوان غميقتان كالبحر • الشعر الذهبي متموج ، كسنابل القمح تحت الشمس الساطعة • والبشرة في قالب من رحيق الشهد • في ذقنها غمازة يتشهى الناظر تقبيلها ، بحبور ، مع الشفتين الرقيقتين والانف الاقنى • على الوجنتين تقطف الورود •

طار بجناحين في سماء صافية • اذا ما كانت في الجنة حورية فانها أصبحت قريبة اليه • تبادلا التحية • جلس ، كملك يتربع في عرشه وألوت بجناحيها ، قبالته ، كآلهة الاغريق •• خيم صمت أشبه بصمت الزهر ، في بستان يغمره ظلام الليل • تجاريا في الحديث • استبانت أن لهجته مختلفة عن سائر الرواد • وبابتسامة رقيقة حلوة رفت على شفتيها :

ـ لعلك من بيروت ؟

ـ كلا ولكنني مكثت فيها طويلا •

ـ وأين سكنت ؟

ـ في أحياء كثيرة وبخاصة في حي الحمراء •

في حي الحمراء عائلات كبيرة فعلى أيها تعرفت ؟

لاحت همسة بصفحة خياله • وراودته رغبة منزهة عن الغرض في المعرفة ، وهي ليست بالرغبة الخسيسة • على وجهه ارتسم العزم ، كمن أوشك على الاقتراب من صيد ثمين • « ولتكن رمية من غير رام » :

ـ لعلك تعنين بيتنا بذاته • ان فيه طفلة تشبهك تمام الشبه • تحبني وأحبها أكثر من أية طفلة رأيتها في حياتي • أجلب لها الهدايا فتغمرني بالقبلات • ولا أكذب ظني ، فلقد وقعت على سرها الدفين • عبثا سألت عن

والدتها . تارة يقولون : انها ماتت . وطورا يقولون : انها مسافرة . وفوق هذا كنت ألحظ غيمة كثيفة تجثم في صحن الدار ، فالوجوه يزايلها السرور والفرح ويعلوها الانقباض والاسى العميق .

رشفت الكأس حتى الثمالة ، وكانت لا تشرب الا لماما . وكمن مستها قشعريرة .

ـ سرك أم سر اكتشاف القنابل الذرية ؟

أحكم الشباك لكي لا تفلت منه السمكة . نظر اليها بقوة ، نظرات فاحصة ثاقبة :

ـ « من أضمر شيئا ظهر على وجهه وفي فلتات لسانه » .

ابتسمت كطفل يعلم أنه مشاكس ولكنه يحرص أن يستميلك اليه :

ـ الضمير مستتر والناس متشابهون .

للتو هرولت الى المغسلة . بالبكاء استحالت زرقة عينيها الى خضرة ، كالبحر عند هطول المطر . اكتسحته عاصفة من الاشفاق عليها فأدار الحديث بغير مجراه . وبصوت شجي كمن يهدهد طفلا :

ـ قبل أربعة أيام كنا أربعة : مجرد شهود عيان على سكرك الشديد وتكسيرك البلور والالواح الزجاجية في الفندق الذي تنامين فيه . وكنا على وشك أن ننام فيه أيضا لولا أن دورية الشرطة اقتادتنا الى السجن بتهمة ملفقة . ولم يخل سبيلنا الا بكفالة مالية . أكثر من هذا ، ولقد لقنك صاحب الفندق افادة ضدنا كانت سبب التوقيف .

هزت رأسها هزة متشامخة . أسعده أن وجنتيها عادتا الى التضرج بحمرة الورد :

ـ ليس على المجنونة حرج . ولكل ذنب كفارة .

أطلق ضحكة مجلجلة ، أراد بها أن تكون مسك الختام

ـ لا كفارة الا أن تحددي موعدا لتناول طعام الغداء

استقبلت الدعوة بارتياح . مد يده الى جيبه ولكنها ربتت عليها لكي لا يدفع الحساب . انكفأت الى ثان وثالث ، كآلهة توزع الرحمة بالقسطاس . تناهشته الغيرة ، على الرغم من أنه هو الذي أفسح لها المجال . في خروجه ، ساقته قدماه الى مقربة منها . حياها بعدم اكتراث ولكنها نهضت ، كوتر مشدود وضغطت على يمينه ، برهان محبة واحترام .

ـ ٢ ـ

تقلب في فراشه ، ذات اليمين وذات الشمال . تساقطت نوافل التفاصيل ، تساقط نشارة الخشب في يد النجار .. كان عدوا لها فأصبح صديقا . نصب لها مكيدة ليستدرجها الى غرفتها ويدس لها بعض الافيون وحشيشة الكيف ، لكي يشي بها وبصاحب الفندق ، فيذهبا الى السجن ظلما ، مثلما سجن هو ورفاقه ظلما، فواحدة بواحدة والبادي أظلم . مثل رفاقه أمام ناظريه : أية قوة سحرية جمعته بهم ؟ وكيف اختاروا النوم في هذا الفندق ليصيبهم ما أصابهم ؟ للسجن عنده حديث ذو شجون . أما هم فليس لهم به سابقة .

حافز قوي جدا ، استحثه لفعل شيء معين يكون انتقاما لهم ، بدل بقدرة خفية ، ليستحثه على فعل شيء معين آخر ، من أجلها ، ولو أودى به الى التضحية بكل شيء .

تسربل بالهدوء والطمأنينة لهذه المصادفات العجيبة ... تنبه من حركة السيارات ومن ضجيج الحافلات الكهربائية ، الى أن الصبح قد تنفس . استسلم للرقاد ، ترفده عزيمة صادقة أن يكمل معها شوطا الى ما لا نهاية .

ـ ٣ ـ

أفاق مع الظهر . عد الثواني والدقائق ، قبل أن يحين الموعد . استعد لاستقبالها كعريس في ليلة الزفاف ... في قرارة نفسه لون من صراع مضطرب مبلبل ، أشبه بمزيج من أفكار فجة وعواطف غامضة . اندفعت نحوه بخفة الظبية . نظر اليها خلسة بعينين ماكرتين خبيثتين ، كخنزير حاد الطبع ... الطعام شهي . متعة الطعام تعادل

متعة الجسد . غدت عينا كل منهما شديدتي الحرص والترقب ، فيمن يفتتح الحديث . قام بدور المايسترو . وبما يشبه الصراخ :

ـ لتسقط كل الاقنعة

ـ لتسقط

استخفه الطرب لترديدها الشعار الذي طرحه ، فتشجع :

ـ فيم كان بكاؤك الليلة الماضية ؟

وبدون تردد :

ـ عاطفة الامومة غلبتني على أمري ، فما استطعت تجلدا

خلط الهزل بالجد

ـ اللبؤة لا تبارح عرين الاسد

وببساطة طفلة بريئة :

ـ زوجي يزيدني عشرا . أعماني الهوى مع من أحببت ، وهو ترب لي وبمثل سني . انقض علينا زوجي، كجلاد متمرن ، شاهرا مسدسه . لاذ الآخر بالفرار . لبثت جثة هامدة عارية . أسلمت عنقي للذبح ، فأغمضت عيني كي لا أرى . رضخت للامر . لبست ثيابي وتبعته الى سيارته . وقفت بنا أمام منزل أهلي . احتضن طفلتنا وصعد بها الدرج . وليت الادبار . صديقة لي أسبغت علي حماية واقية . هيء جواز سفري . انطلقت الى بغداد ، وعملت في أحد الملاهي . درجت الى ايطالية وتركية . لي شهر واحد في سورية . لا أرقص ولا أغني . ولا أقبل أن يراودني أحد عن نفسي . وانما أسامر الزبائن وأتقاضى أجري لاعيش لا لاحيا .

تحركت فيه دودة الفضول :

ـ عائلتك كبيرة ومتنقلة ، أولم يصادفك أحد من أفرادها ؟

ـ اصطفاني عمي الشيخ للجلوس معه في روما . عبرت عن احترامي له . نهضت فحييته من بعيد . ثم انسحبت من الملهى . ولم أنم في الفندق الذي حللت فيه . وفي الصباح أقلعت بي الطائرة خارج ايطالية .

ـ ٤ ـ

عانى لونا من الوجع في ساقيه ، يشبه التصلب الذي ينتاب شخصا عندما يركب ، لاول مرة ، جوادا لمدة طويلة . انه ليس ألما كما أنه غير مبرح اطلاقا . اختمرت في رأسه حلول كثيرة . آصرة المودة مع أسرتها ، تحتم عليه أن يجد لها مخرجا من ورطتها . تبدى له الحل الامثل ، في أكبر قسط من اللباقة :

ـ من غير اللائق ألا تكوني من ربات البيوت . ضعي سترا على الماضي وارجعي الى أهلك . والدتك وشقيقاك لن يرفضوا وساطتي .

ـ وجهي كان أبيض . أأعود اليهم بوجه أسود ؟

ـ « من لم يرتكب ذنبا فليرمك بحجر »

تلاعبت على شفتيها ابتسامة تافهة :

ـ ما ظلمني أحد ولكني ظلمت نفسي

ظل في موقف القاضي الذي يصدر أحكاما قطعية :

ـ ولكنك تظلمين غيرك

ـ تقصد ابنتي . لها الله ! نفسي فداء لها

ـ ولا نجاة لك من عذاب الضمير

ضغطت بكلتا يديها على صدرها لتضبط خفقان قلبها المحموم

ـ وخز الضمير يؤلمني . ليتني أعيش بدونه لاجتر بقية أيامي كالسائمة .

ـ آية ضميرك أن تعودي

نطقت بلغة العاطفة

ـ ليكن ما تريد

انتصب العقل كمارد جبار . تقلصت قسمات وجهها المضيء . وكمن تهذي في ثورة الحمى :

ـ عاري مضغة في الافواه ، وليست له كفارة . شقيقاي حبيبان محترمان . لا يجوز أن تلطخ أيديهما بدمي . عظامي تصطك بعد الموت ان ألقيت بهما في

غياهب السجن ويضمر حبي لهما واحترامي ان أبقيا على حياتي ٠٠٠

وصمتت برهة ثم عاودها الهذيان :

ـ عاري كالوشم ٠٠٠ ولولا أن القتل عملية سرقة لقتلت نفسي

وكزت على أسنانها ، تطحن كلماتها طحنا :

ـ انني أعاف السرقة فيما أعاف

كانت عيناها شبه مغمضتين ففتحتهما ٠ ارتعشت وهي تضع رأسها بين كفيها ٠ سحبت نفسا عميقا من سيجارتها وبصوت خال من أية نغمة ، فقد حرارته ٠

ـ ألا ليت ابنتي ما كانت ، فيزول بزوالها أي أثر لي ٠ ولكنها ما بقيت الا لتنكأ الجرح القديم على الدوام ٠

ـ ٥ ـ

فطن كمن كان في غيبوبة ثم ثاب الى رشده ، ان الارهاق قد بلغ بها شأوا بعيدا ، وأن الدموع طفرت من عينيها ، أكثر من مرة ٠٠٠ سحب النادل أطباق الطعام ٠ سمع وجيب قلبه متساوقا بين ضلوعه ٠ ولكي يسري عنها :

ـ أنا ثالث اخوتك ٠ فهلا قبلت مني بعض المال ؟

ابتسمت ابتسامتها المشرقة الساحرة وبصوت رخيم :

ـ من طبيعة المرأة أكثر مما في طبيعة الرجل ، أن تضحي بنفسها من أجله ٠ لدي من المال الكثير وطموحي مبتسر ٠ أكون سعيدة اذا ما قبلته مني لتنفقه هدايا الى ابنتي

هز رأسه ، كما يفعل الناس البسطاء

ـ بوسعي أن أجلب لك ابنتك لتشاهديها

عصرت يديها بيأس وقنوط

ـ هيهات أن تبنى الادلة على الاوهام

رد عليها بقوة

ـ سوف أضرب على الحديد حتى يحمى

قطبت ما بين حاجبيها وتظاهرت بعدم الاكتراث ٠ بعد قليل راق وجهها وصفا كالبحر في الخريف وبنغمة آسرة :

ـ عاهدني أن تذهب الى بيروت ، وتقبل عني يد والدتي وخدود أخوتي ٠ ولا تنس أن تقبل ابنتي طويلا طويلا ٠ واياك أن تذكر لهم عني شيئا ٠

حدجها بنظرة غاضبة :

ـ لن نفترق بمثل هذه السرعة حتى أجد لك مخرجا

ـ عدني على أية حال

قبل أن يحني رأسه ، علامة الايجاب ، انسلت منه كما تنسل الشعرة من العجين ٠ أسرعت دقات قلبه ، تنذر بالخطر ٠ غرق تروحه في حلم ولكنه مريح ومزعج في آن واحد ٠

ـ ٦ ـ

لبس دروعا كثيرة ، ليصول ويجول معها ٠ روض نفسه أن يخسر عدة جولات ٠ ولكنه راهن على احدى جولتين : الزواج منها أو عودتها الى ابنتها ٠ لفت نظره قدرته على التركيز ٠ شاء أن يبلو هذه القدرة ٠ سار الى الملهى ، واثق الخطوة ، بعكس الليلة الفائتة ٠ ضجت الرعود والعواصف في رأسه ٠ وضع يمناه على قلبه ، كمن نزلت به نازلة ٠ زاغت عيناه ، وهو يتصفح الوجوه واحدا اثر واحد ٠ هذه الوجوه لا يعرفها ولا يريد أن يتعرف اليها ٠ انه يريد وجها واحدا ، تشرق به الشمس وتغيب ٠ أرمضه أنه لم يره فبدا كالابكم الذي لا يجيد غير الصمت أسر الى الساقي بسؤال ٠ الجواب قصم ظهره ٠

وجه وجهه نحو صاحب الملهى وتهاوى على مقعد الى جانبه ٠ لم يفت صاحب الملهى أنه يبحث عنها فأبدى أسفه لسفرها وفسخها العقد معه ٠ العقد مدته شهران ولم يمض عليه سوى شهر واحد ٠ امتنع عن دفع أجرها فلم تجادل عقب بحسرة ممضة :

ـ لقد لقيت على وجهها الخير كل الخير ٠ الزبائن يتسابقون الى مرضاتها ويغدقون في الانفاق على طاولتها بغير حساب ولكنها لم تبد اهتماما لغيرك ٠٠٠ عرضت عليها أن أدفع لها الاجر مضاعفا كوسيلة للاحتفاظ بها ٠٠٠ انها ملاك في صورة أنثى ٠ في حياتها سر لم أدر كنهه ٠

نهض من مقعده متثاقلا ، وبصوت كهمس الريح بين الاوراق ٠

ـ صممت على الرحيل حسما لدابر الاتصال مع أهلها ٠٠٠ انها لا تبغي الرجوع اليهم أبدا ٠٠ حلم رأيته في اليقظة ولن يعود !!!

مصياف

مصطفى الخش

رسالة لم ترسل

مقبولة الحلي

أما قاسيت ليلا مثل ليلى وهل عانيت سهد البعد مثلي

وهل كنت احترقت بنار شوقي فكم في البعد أغرى الشوق رحلي

وهل بلغتك أخباري فاني جعلت نجوم هذا الليل رسلي

أرقت ومل من أرقى فراشي ونمت وكنت طول الليل شغلي

وعشت لكل ما يضني ويشقي وضقت بكل ما ينسى ويسلي

فانت وان قسوت نعيم عمري وألقى في هواك سداد عقلي

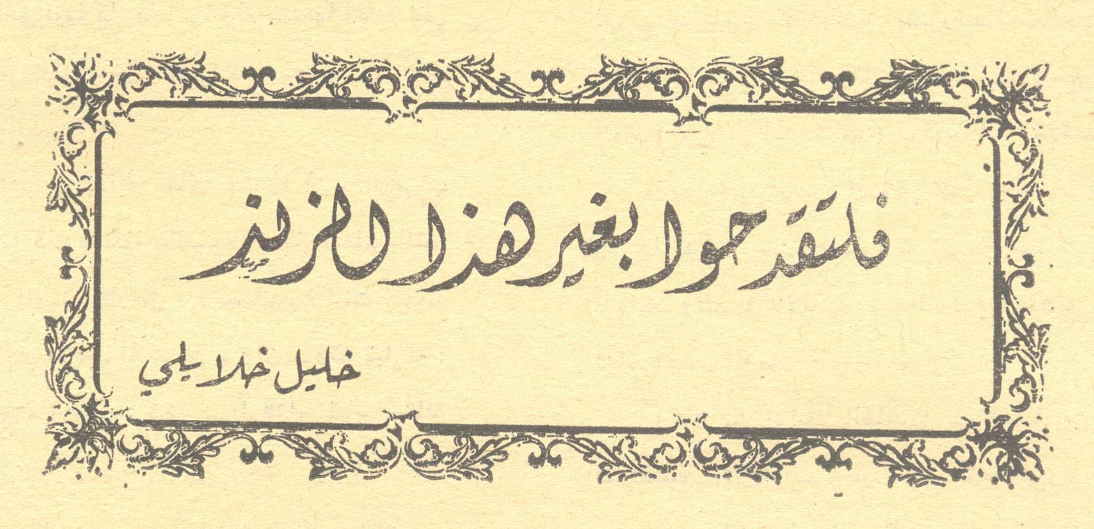
لاجلك لم تنم عيني الليالي فهل عيناك لم تغمض لاجلي

وأكبر علتي في البعد أنا بعاد لم أقل لك أو تقل لي

أرى أحلى بلاد لست فيها كقفر مظلم الانحاء .. محل

فما اشتعلت لغيرك نار شوقي ولم تسرع لغير لقاك رجلي

وويلي من عذابي واغترابي ومن ليلي المعذب ألف ويل



المقالات التي كتبها زميل الدراسة الاستاذ « يوسف اليوسف » في الاونة الاخيرة في المجلات والصحف ، اتسمت بالعمق والرزانة ، سواء تلك التي خص بها المعلقات ، أم تلك التي عالج بها شؤونا فولكلورية أو لغوية ٠ ولا أذيع سرا ان قلت : انني غبطته أيما غبطة على مقالته الرائعة ـ نحو فلسفة اللغة العربية ـ المنشورة في عدد ـ كانون الاول ـ من العام المنصرم في مجلة ـ المعرفة ـ الدمشقية الزاهرة ٠

وليس عجيبا أن تتسم مقالات الاستاذ ـ اليوسف ـ بالعمق والرزانة ، فهو ـ والحق يقال ـ من خيرة شبابنا المثقف المدمن على المطالعة والقراءة الجادة في شتى أنواع المعرفة وباللغتين العربية والانجليزية ، وترضع يراعته النابضة بالتالي من ثقافة جامعية منظمة ، اكتسبها بالجهد والعرق عبر سنين طويلة قضاها في كليتي الاداب والتربية ٠ فهو خريج قسم اللغة الانجليزية لكلية الاداب بالاضافة الى كونه خريج كلية التربية ـ قسم الماجستير ـ منذ ما يزيد على عقد من الزمان ٠ ودراسته المنظمة تلك ، للغة الانجليزية ترفده في أكثر الاحيان ، بمقارنات حية ، تضفي على كتابته رونقا ورواء ، في حين ترفده دراسته النفسية والفلسفية في كلية التربية بالمحاكمات المنطقية ، وتقوده الى استقراء واستنتاج صحيحين في معظم الاحيان ، وتكسب أسلوبه عمقا وغنى ثقافيا محببين ٠

ومقارناته الحية ، ومحاكماته المنطقية ، واستنتاجه المحكم ، وحماسته في التصدي للموضوعات التي يتناولها ، جعلت منه ناقدا يشار اليه بالبنان ، وجعلت كثيرا من الالسنة تلهج بمدحه وتثني عليه بما يستحق ٠

الا أن مقالته الاخيرة المنشورة في صحيفة (الثورة) الغرّاء ، صباح الثامن عشر من حزيران الماضي ، تحت عنوان – محمد الكسار وتبسيط النحو العربي – جعلتني أحس بخيبة أمل كبيرة ، للهوة التي يسقط فيها هذا اليراع المبدع ، والتي أرجو أن لا تكون أكثر من سقطة عابـــرة ، ككبوة الجواد ، الذي سرعان ما ينهض سليما معافى ، أو كغمامة صيف تنقشع في الحال ٠

والمقالة في اعتقادي ليست أكثر من عربون صداقة للاستاذ الكسار ، أورد لجميل سابق ، وهي على كل حال جولة سريعة لم يعمل فيها كاتبها فكرا ولم يمنحها اعادة نظر وبظني أنه لو تأنى ولو بعض التأني لما سمح لها أن تظهر للوجود على هذه الصورة ٠

ينطلق الكاتب في بداية مقالته مقررا أن « الاعراب أمر صعب ، وربما كان مشكلة بالنسبة الى كل متعلم باللغة الفصحى منذ زمن العرب الاوائل » ويستشهد لاثبات ادعائه بقول للخليفة الاموي – عبد الملك بن مروان – وقد قيل له : (أسرع اليك الشيب) فقال : « شيبني ارتقاء المنابر مخافة اللحن » ٠

وقول – عبد الملك – خبر يحتمل التصديق والتكذيب، ولا يرتفع الى مستوى القانون العلمي الثابت ، لهذا يظل الاعتماد عليه في مثل هذا المجال واهيا ، ولا يستند الى أساس متين راسخ ، فالشيب لم يعرف له العلم سببا واضحا الى يومنا هذا ، وكثير من الناس يدركهم الشيب مبكرين ولا عهد لهم بمنبر أو فصيح كلام ٠

ونستفيد من قول – عبد الملك – المأثور ذاك ٠ حرص أجدادنا – طيب الله ثراهم – على لغتهم العربية الفصحى وعلى اعرابها ، والنطق بها نطقا سليما ، كما جاءتهم عن آبائهم وأمهاتهم سليمة معافاة ٠

أنا لا أنكر ولا ينكر أحد معي ، أن اللحن أخذ يظهر بين الناطقين بالعربية منذ بداية القرن الاول الهجري وأصاب العامة والخاصة ، حتى ذعر منه أولو الامر ، فأخـــذوا يحاربونه بشتى أنواع الاسلحة للتخلص منه ، فمن خليفة يمنع عطاء اللاحن ، ومن قول مأثور – ليس للاحن حرمة – الى أن غالوا في محاربته واعتبروه عارا وشنارا ، حتى ان الخليفة – عبد الملك نفسه – كان يرى اللحن في الكلام أقبح من التفتيق في الثوب النفيس – ٠ وبالرغم من كل ما اتخذ من احتياطات فقد شاع اللحن وفشا من جراء الاختـــلاط بالاعاجم والابتعاد على منابت الشيح والصقيوم ٠٠ وظل شيوعه يؤرق جماعة من الغيورين على هذه اللغة ، التي هي أعز ما يفخر بها العربي ٠٠ الى أن تصدى – أبو الاسود الدؤلي – للمشكلة وحمل مسؤوليـة معالجتها ، فألـف – التعليقة – في النحو وكان ذلك على الارجح بتكليف من الامام (علي بن أبي طالب) – كرم الله وجهه – ٠

وبعد أبي الاسود الدؤلي ظهر نحاة ، ساروا بالنحو أشواطا بعيدة ، حتى وصلوا به الى ما وصلوا من تعقيـد القواعد وتأصيل الاصول ، وألفوا فيه الكتب العظيمـة الخالدة مدى الزمان ٠

وكان من أولئك الخالدين – الخليل بن أحمـــد الفراهيدي الازدي – وهو عربي قحطاني ، وتلميـذه – سيبويه – الفارسي الارومة ، والعربي الثقافة ٠

صحيح أن الخليل لم يتوجه الى النحو بمقدار ما توجه الى اللغة ، فانصرف لتأليف قاموسه – العين – واستنباط – علم العروض ، ، الا أن تلميذه – سيبويه – استطاع أن يتخذ من قياس أستاذه – الخليل – في النحو نقطة ارتكاز ساعدته على القفز بالنحو قفزة عريضة الى الامام فألف – الكتاب – الذي ما زال مفخرة الاجيال ، بشهادة علماء كبار – كأبي سعيد السيرافي – من القدماء وكثيرين غيره من المحدثـين ٠

واذا كنت لا أجد تبريرا لكلام الاستاذين – محمـد الكسار – و يوسف اليوسف – بأن النحويين من غير العرب قد أسهموا في تعقيد النحو العربي بعض الشيء ، فانني لا أستطيع الا أن أنحني اجلالا لهؤلاء الجهابذة من العلماء

الذين استنبطوا النحو العربي وجعلوه علما قائما بذاته ، فقد أفنوا أعمارا كاملة في تتبع شوارده ، وفي استخلاص قواعده ، حتى جاءنا تاما متمما لا يحتاج الى مزيد بحث أو استقصاء ، لقد خدموا بتفانيهم ذاك ، الاجيال العربية عبر قرون عديدة ، وسيخدمونها ما شاء الله ، خدمات جلى ، سنظل ننظر اليها بمزيد من الاعجاب والاعتزاز ٠

وكذلك القول بأن العرب من النحاة كالدؤلي والفراهيدي ، كانوا دعاة تبسيط فلا يصح أبدا لان عملهم لم يكن أكثر من بدايات يسيرة ، كان لا بد للنحويين من اتمامها على نحو ما جرى بالتمام والكمال ٠

صحيح أن تاريخ الادب يروي لنا نفور بعض الشعراء ذوي السليقة من مضايقات النحويين وتعليلاتهم ، كما حدث للشاعر ـ عمار الكلبي ـ الذي هجا النحويين بقوله :

ماذا لقينا من المستعربين ومن
قياس نحوهم هذا الذي ابتدعوا
ان قلت قافية بكرا يكون بها
بيت خلاف الذي قالوه أو درعوا
قالوا : لحنت وهذا ليس منتصبا
وذاك خفض وهذا ليس يرتفع

الى أن يقول :

كم بين قوم قد احتالوا لمنطقهم
وبين قوم على اعرابهم طبعوا

ومن مثل هذا ما جرى ـ للفرزدق ـ مع عبد الله بن اسحق الحضرمي حتى قال فيه :

ولو أن عبد الله مولى هجوته
ولكن عبد الله مولى مواليا

الا أن كل ذلك ، لا يمكن أن يتخذ دليلا على تعقيدهم الذي يغمز بعض المحدثين أنه كان مقصودا لتخريب العربية، وهم براء من هذه التهمة الى يوم القيامة ٠

واذا كنا لا نجد في عمل النحاة من غير العرب ، ما يستهجن ، ولا نشم بعملهم العظيم ذاك رائحة التآمر فلنترحم اذن على جهودهم الجبارة تلك ولنقر بحسن صنيعهم وجميل ما أدوا للعربية الغالية من خدمات خالدة ٠

ولنعود لنتساءل : هل النحو العربي صعب كما يزعم الزاعمون ؟

وهل الاعراب مشكلة عويصة ؟ تحتاج الى التبسيط والحذف والمحو والالغاء كما تفضل الباحثان الكريمان ٠

وهل اللحن المتفشي اليوم بين أبناء العربية سببه صعوبة النحو وتعقيدات النحويين ٠

وقد يعجب أصدقاؤنا اذا كان جوابنا على كل هذه التساؤلات بالنفي ؟

فاللغة العربية في الحقيقة استقامت على ألسنة أصحابها قرونا مديدة من الزمان قبل اختراع النحو ، وقبل وجود النحويين ٠

واذا لم يستطع النحو أن يحفظ اللغة ـ سليمة على الالسنة ـ كما كانت في فجر تاريخها فليس القصور في النحو وأهله ، وانما القصور فينا نحن ورثة النحو الذين لم نتبع أسلوبا صحيحا في تعليمه للناشئة في هذا الجيل ، والاجيال السابقة الى حين ٠

ولما لم نستطع اختيار الطريقة المثلى لتعليمه ، رحنا نتهمه بالصعوبة واللا جدوى ٠

أين تكمن الصعوبة يا ترى ؟

واذا كان الطالب ـ أي طالب ـ وفي أية مرحلة من مراحل التعليم مطالبا بحفظ التفصيلات والتعقيدات والخلافات العديدة بين كل من مدرسة البصرة والكوفة فالنحو صعب ٠

أما اذا كان كل ذلك لا يطالب به الا الطالب المختص ، في الكليات الجامعية والدراسات العليا ، فأين يكمن وجه الصعوبة ٠

أين الصعوبة في النحو العربي ؟ والكلام ليس أكثر من اسم وفعل وحرف ، والفعل ماض ومضارع وأمر ، والاسم لا يكون الا مرفوعا أو منصوبا أو مجرورا ٠ والنحو الضروري للمحادثة السليمة ، نستطيع أن نلخصه كاملا في صفحة واحدة ٠

أنا متعلم أيها السادة ، أن تعلم النحو بأساليب عتيقة بالية ، لا يمكن الطالب من النطق باللغة العربية الفصحى نطقا سليما ، لان تعلم النحو وان كان يساعد على تفهم ترابط أجزاء الكلام ببعضها ولو نظريا ، الا أن النطق

السليم لا يحصل الا عن طريق السماع والمران والتدريب كما حصل لاجدادنا الذين ما تعلموا اللغة الا شفاها عن

ألسنة آبائهم وأمهاتهم وجداتهم ، فانثالت على ألسنتهم الفصيحة عذبة كالماء الزلال وكالسحر الحلال .. وما كانوا

يعرفون من النحو شيئا ولو يسيرا . ومن هنا كانت مناهج تدريس اللغة العربية ونحوها تعتمد النصوص ، لقراءتها وتدريب الالسنة الصغيرة على النطق بها نطقا صحيحا ، ثم من ثم استنباط القواعد التي تأتي في الدرجة الثانية من الاهمية لتثبيت الفهم ، ولاعمال العقل في التذوق والفهم .

وما زلت الى الان أذكر قول أستاذي الجليل ـ سعيد الافغاني ـ مد الله في عمره ـ ونحن على مقاعد الدراسة في كلية الاداب ـ قسم اللغة العربية ـ : « لا تجهدوا أنفسكم في حفظ القواعد ، ولكن حاولوا أن تنموا سليقتكم حتى تصبح العربية فيكم طبعا لا تطبعا » .

ومثل أستاذنا ـ الافغاني ـ ، المرحوم عميد الادب العربي الدكتور ـ طه حسين ـ الذي كان يطلب من أمه أن تطبخ له ـ السويق ـ وتشتري له لحم الابل ، ليجاري الاعراب حتى في مأكلهم ومشربهم .

وبعد : أنا بطبيعتي كمعلم للغة العربية مع التبسيط تبسيط النحو ، ولكن أي تبسيط ؟التبسيط بعرفي لا يستلزم حذفا ولا شطبا ولا الغاء لقاعدة مهما كانت معقدة ،بل يكون التبسيط بتأليف الكتاب المناسب للصف المناسب ، والارتفاع مع الطالب بالتدريج ، حتى يستطيع الحصول على أكبر قدر

من النحو العربي ، عن طريق التمرس بالنصوص الفصيحة ،

حتى يصبح النطق لديه ملكة يحصل عليها من طول تمرسه

بالنصوص الجيدة ، وتدعم بالقواعد النحوية المثبتة ، حتى اذا ما زالت القاعدة من الذاكرة ظلت السليقة حية .

ودعوى التبسيط ليست جديدة علينا ، والاستاذان ـ الكسار واليوسف ـ ليسا من أول دعاتها .. انما سبقتهما

دعوات مماثلة ، وتطبيقات قاصرة ، أدخلت على المناهج في

ـ سورية ـ اثر تطبيق المعاهدة الثقافية بين القطرين

العربيين ـ مصر وسورية ـ والتي مسخت فيها المناهج

مسخا مزريا ، ما زلنا نعاني من جرائه حتى اليوم ، ويعمل المسؤولون جاهدين للخلاص من عقابيله .

والادعاء بصعوبة النحو ، والتفكير في اصلاحه بنية شريفة شيء جميل لا شك ، أما الشيء المستهجن فهو تلك الطريقة التي يقترحها كاتب المقال لصلاح المشكلة ، والتي

يمكن أن يكون قد استوحاها من كتاب الاستاذ ـ الكسار ـ على الارجح . فهو يقترح ـ بحذف المثنى ، ونون النسوة ،

ونوني التوكيد ، وعلامات التأنيث ، وتنوين الممنوع من التنوين ، هكذا ..! مرة واحدة .

وأظنه يقترح بحذفها لا لانها صعبة ، بل لانها غير موجودة في اللغة الانكليزية . وما باله لاتمام مشروعه ـ الميمون ـ لا يطالب بحذف ـ الصاد ـ و ـ الضاد ـ و ـ العين ـ والحاء وهي غير موجودة أيضا في الانكليزية ولا غيرها من اللغا تالاجنبية على الاطلاق .

وفي الحالة هذه لا أدري أنكون ارتفعنا بالعربية الى مستوى الانجليزية أم انحدرنا بالعربية الى مستوى الانجليزية .

واذا كنتم تظنون الاولى فأنتم واهمون ، ومن قال لكم ان الانجليزية هي المثل الاعلى الذي لا بد من مجاراته ، ولو على حساب شرف لغتنا وكيانها وأصالتها ، وعلى أي حال تظل مثل هذه الاقتراحات أمرا مضحكا ومثيرا للسخرية ، ففي حالة حذف المثنى ، كيف يتهيأ لناقدنا الجريء أن يقرأ بيت امرىء القيس :

لـه أيطلا ظبي وساقا نعامـة
وارخاء سرحـان وتقريب تتفـل

أو كيف يمكنه تلاوة الاية الكريمة « مرج البحرين يلتقيان ، فبأي آلاء ربكما تكذبان » .

وكيف يقول : « كتبت مقالتين » و « سافرت مرتين » .

رحمكم الله ، دعوا العربية وشأنها فهي بألف خير وخيطوا بغير هذه المسلة . فكل ما تطالبون بحذفه ليس الا

المزايا الرائعة التي أفردت به العربية وخصت ، وهو مبعث مفخرها واعتزازها ، وبه تدل على سائر اللغات ، واذا ما تهاونا ولو بالنطق به،أو حذفناه ـ لا سمح الله ـ لا نكون

الا لصوصا نعتدي على حرمة هذه الغادة الحسناء ـ التي

هي بمثابة عرضنا ـ فنسلبها حليها وأقراطها وحجولها ،

وكامل أدوا تزينتها الضرورية ، ونشتط فننزع مع حليها ،

بعضا من أنفها أو جزءا من أذنها أو فلذة من كبدها ، بحجة

أن ذلك ليس من الضروري لها وهو غير موجود الا بها .

هذا منطق غريب عجيب يا سادة .. لا يوافقكم عليه

أحد . والافضل أن تتركوا العربية بكامل سحرها وروائها ، اتركوها أميرة عربية ، ولا تجعلوا منها جارية أو سبية .

دمشق ـ خليل خلايلي

تجربة قلب

قصة : مهى الياس

كم يؤلمني غيابه عني وينتابني حزن دفين كلما أومأ (وائل) الي معلنا لي عن قرب موعد سفره . مضت فترة خمس سنوات وقد اقترن كل منا بالآخر بعد قصة حب جارفة وكافحنا معا رغبة منا في بناء أسرة سعيدة .

ودارت الايام وراحت تمر السنون مكللة بالتعب وطفل يحبو مشيرا بيديه وبلسانه نصف الناطق الى المستقبل الذي يأمله سعيدا ، مفرحا ، وموفقا . أحببت (وسام) وأحببت في عينيه نظرات أبيه الثاقبة وتقاسيمه المعبرة عن الفرح الدائم والارتياح الظاهر لكل عين . أحببت في ابني ما أحببت في (وائل) ، صور حية لصلة روحية رائعة ، وكانا بالنسبة الي حقيقة واحدة تنطق بالدفء والحنان والهناء .

تلوح اليوم صور في مخيلتي . بدأ حبنا دون قصد منا ، تعرفت بـ (وائل) في حفلة رأس السنة اذ كنت واحدة من المضيفات لتلك الحفلة ، لفتت نظري سمرته وعيناه التي نسي البحر فيهما زرقته . ولم أشعر به الا وهو يحيطني بين ذراعيه لنقوم بخطوات الفالس معا ، يدي على كتفه ويده حول خصري ، شعرت حينها وفي لحظة بين الحقيقة والخيال أني سأكون لهذا الانسان .

لم أدر هل رجولته المتدفقة هي التي أوحت لي بهذا أم نظرته الثاقبة التي شعرت بها تتغلغل الى داخل فؤادي تجردني من حيائي ، ومن دبابيس شعري فتجعله منسدلا على كتفي وعاشقة بين يدي هذا الرجل الغريب الذي لم ألتق به سوى اليوم وللمرة الاولى ؟ . وتزوجنا .

كل هذا استعادته نفسي وأنا أقبع في زاوية من بيتنا حيث اعتدنا أن نجلس معا نتبادل الآراء والاهواء ، ولكني اليوم أشعر بنفسي وحيدة ، الهي ، كم هي قاسية هذه الوحدة ... أتذكر اليوم كم كانت رغبته قوية في أن أرافقه اليوم في هذه الرحلة وكم كان بودي هذا ولكن وسام ... كم ان الامور أضحت صعبة ، كثرة الاسفار ،

متطلبات الحياة والادهى أن (وائل) يريد أكثر ، ان كلماته ترن في أذني : « أريدك يا (غالية) سيدة السيدات، أحب عملي لانه يفتح لي بابا أناقشك به فتبدي آراءك وأشعر أكثر بحيويتي واندفاعي فأحبك أكثر ٠ أريد المال لاجعل منك تحفة ، لاجعل منك كلما هو جميل ، كل ماهو براق » ٠

تخيفني أفكاره وأخاف من نفسي عليه ، من أن تجره هذه الافكار الى البعيد البعيد فأضحي أنا بعيدة عنه بالتالي ٠

« ترى كيف نقضي هذه الايام ؟ كيف نخفف من وطأتها لنشعر بأنها تمضي بسرعة ؟ » قلت هذا وأنا أتأمل (وسام) وحين هممت بالنهوض لاحمله واضعه في فراشه واضفي عليه من حناني وشوقي الى زوجي ٠٠٠ رن الهاتف فرفعت السماعة وأنا متلهفة لسماع صوت عزيز لدي واذ بي أمام صمت رهيب فأغلقته وانكببت على ابني ونسيت كليا هذا الامر الا أن تكراره يوميا ولفترة أسبوع جعلني أتساءل : « من وراء الهاتف ؟ وما الغاية من الصمت ؟ هل هي امرأة ؟ لا ٠٠٠ وماذا تريد امرأة مني ان لم تكن صديقة ٠ أكان صديقا لزوجي ولكنه سمع صوتي وبامكانه السؤال عنه ٠٠ »

غابت عن ذهني تساؤلاتي هذه في غمرة فرحتي بعودة (وائل) وتهيئة أهدأ جلسة تريحه ٠ راحت عقارب الساعة تشير الى التاسعة ، بضع دقائق ويكون ما بيننا ٠ (وسام) نام بهدوء الملائكة والبيت يكتنفه صمت أحبه وخفقات قلبي أشعر بها وهي تدق أعتا بصدري ٠ أليس غريبا هذا الامر ، بعد سنين خمسة أعاني ما تعانيه عاشقة جديدة ، قيل لي الحب يرحل بعد الزواج ، والرجل يمل امرأته ويسعى لاحضان امرأة جديدة تشعره بحيويته المتجددة ٠ خرافة هذا الامر ، باعتقادي ومن وراء تجربتي ان المرأة تستطيع أن تتجدد وأن تجدد حياتها كل يوم وأن تجعل من زوجها عاشقا متجددا دوما ٠

حتى اليوم ما مللت حياتي و (وائل) ما زلت بالنسبة اليه الحبيبة الوحيدة ، ربما طباعه تلعب دورا فهو رزين ، هادىء ، متزن ، شخصيته مستقرة لا اضطراب ولا قلق في نفسيته ، كل هذا كان السبب في استمرار سعادتنا وحبنا حتى اليوم ٠

سمعت دمدمة مفاتيحه وما رأيت نفسي الا وأنا أحتضن هذا الانسان الحبيب وضممته الى نفسي الى كل خلجة من خلجاتي فأحاط رأسي بكفيه وسألني :

ـ كيف أنت ؟

ـ يكفيني هذا ، لا تضف عليه أكثر ، يكفيني أن قلبك يسأل عن دقات قلبي ويرتفع أنينه الى شفتيك فتتحركان لتقولا لي : « كيف أنت » ؟ وأجيبك بعيني لاني أعجز عن ترجمة ما فيهما كلاما ألقيه على مسامعك الحانية٠

استيقظنا صباحا على صوت (وسام) وما شعرت به الا قريبا مني ، نظرت فوجدته قابعا فيما بيننا ونظرات الخوف من كلمة تأنيب مرسومة في عينيه ٠ ضحكت وضحك ـ وائل ـ وتركت أبا يداعب ابنه وأسرعت في اعدادالقهوة الصباحية وأنا أردد : ـ ربي احفظهما لي ـ ٠

ما مرت دقائق لجلوسنا حول مائدة طعام الافطار واذ برنين الهاتف يعلو فقام (وائل) وسمعته يقول : لا ٠٠ النمرة خطأ ٠ وعاد لمجلسه حول المائدة فتذكرت حادثة الهاتف التي تكررت خلال فترة غيابه ولاحت لي فأخبرته بها مما جعله يضحك مني ومن تخيلاتي وقام الى حقيبة يده المكتبية ورسم قبلة على جبين ابنه وجبيني وخرج من المنزل ودعائي له يرافقه ٠

مضت الايام بين عمل في الصباح وأمسيات نقضيها مع الاصحاب أحيانا وفي جلسات هادئة أحيانا أخرى ، لم يكن ما يعكر صفو حياتنا أو هكذا خيل لي ٠ الى أن جاء يوم وبينما كنا نتشاور معا حول مقال قرأته فأعجبني

أسلوب الكاتب وآراؤه المطروحة رن الهاتف فكان (وائل) أسرع مني ولست أدري كيف بدت التفاتة مني اليه فوجدت تغيرا قد طرأ على لون وجهه ، استغربت الامر وسألته عندما عاد الي :

ـ من كان المتكلم ؟

وبتلعثم أجابني :

ـ من الشركة هناك أمر مستعجل أرادوا أخذ رأيي به ٠

شعرت أن زوجي يكذب ولاول مرة ، خفت أن أتهمه بالكذب فأكون على خطأ لذا فضلت الصمت وأبعدت الشك عن نفسي بأن اقتربت منه ووضعت رأسي على كتفه وقلت له : « ضمني اليك » ٠

انهمكت اليوم في استقبال صديقة العمر (منى) فقد جاءت من بلدتي لتقيم عدة أيام في دمشق سررت بها فروحها المرحة تضفي جوا من الفرح يشعر به كل من يحيط بها ٠ ألححت عليها بالبقاء عندنا ولكنها وعدتني بأن تزورني يوميا فوجود عمتها يمنعها من المبيت في غير منزل هذه العمة ٠ احترمت ارادتها ودعوتها لقضاء اليوم التالي في صحبتنا ٠

جاءت مبكرة وصادفت (وائل) وهو يهم بالخروج الى عمله ٠ جلسنا معا نتبادل مختلف الاحاديث وسألتني :

ـ كيف أحوالك مع زوجك يا (غالية) ؟

ولا أدري ما هو الانفعال الذي بدا على وجهي حتى بادرتني بقولها :

ـ ماذا بك ؟ لماذا أنت مضطربة ؟ أين الابتسامة التي أعرفها ؟ هل هنالك ما يؤرق تفكيرك ؟

ـ صحيح (قلت لنفسي) ان الوجه مرآة للنفس ٠ أنا أعيش فترة قلق وكأن (منى) بسؤالها لي جعلتني استرجع الصور التي عشتها وأبعدت تفسيراتها عني خوفا من أن يدخل الشك الى حياتي فيكون سببا في هدمها ٠

وانتبهت اليها تقول لي :

ـ حدثيني يا غالية ، قولي لي ، ماذا بك ؟

وجلست مسندة رأسي على المقعد ورحت أستعيد كل ما في داخلي وما تملكت نفسي فانهمرت الدموع ببطء وشعرت أن حرارتها تحفر لها مكانا على خدي ٠

ـ ما تخيلت يوما أن ـ وائل ـ سيتوانى عن اخباري بمكنونات صدره يا ـ منى ـ ولو تعلق الامر بامرأة ٠ استغرب موقف الرجال في موضوع كهذا ٠ لماذا تسرع المرأة باعلام زوجها عمن رأت وعما يعتملها من مشاعر وآراء حول رأي أحد الرجال بها سواء حدث هذا في حفلة أم في جلسة اجتماعية ٠

ترى لماذا يتراجع الرجل أمام زوجته فلا يصارح شريكة حياته بأنه معجب باحدى النساء مع اني اعتدت أن أقول لـ ـ وائل ـ انظر ، كم هذه المرأة أنيقة ٠٠٠ وتلك، كم هي جميلة ٠ لماذا يتصرف الرجل عندنا وكأنه غيرمبال اذا ما تحدثت أمامه عن امرأة مع أن الرغبة تكون لديه في أن يستمع ويعي ويبدي رأيا ؟

لماذا يا ـ منى ـ نجعل من الظروف قوة ، بدلا من أن تكون بين أيدينا ، نراها تسحقنا فنتظاهر بأمور وفي داخلنا أمور أخرى ؟٠

لماذا هذه الازدواجية في العيش ؟ لماذا ما زال في بلدي خوف من المرأة على المرأة ؟ أما آن لنسائنا أن تعي هذه الامور ، وأما آن لرجالنا أن يحترموا وجود زوجة في حياتهم ؟

ترى عندما يحاول الرجل أن يخرج نوعا ما من صمته فيتجاوز آراءه المحددة حول موقف زوجته مما سيحدثها به ، ترى ألا يختلف الامر لديه ؟ وعندما تخرج الزوجة من ذاتها وتتنازل عن كبريائها وتستمع بهدوء لما سيقوله رجلها دون احداث ضجة ، ترى ألا يختلف الوضع ؟

ان في حياة زوجي امرأة يا ـ منى ـ ، بامكاني أن أواجهه بهذا ، بامكاني أن أحطم غروره وأجعل منه يائسا من نفسه ومن أفعاله ٠ ولكني لا أريد تحطيم الانسان الذي أحببت ، أنا أفضل ايذاء نفسي عن ايذائه ٠ أريده هو أن يتكلم ٠

ـ ولكن ربما يخاف أن يؤلمك يا ـ غالية ـ ٠

ـ ربما ٠٠٠ ولكن لو كان يقدر حبي له يا ـ منى ـ وصدقي ولو كان يعرفني حقا ويعرف أن لدي عقلا يستوعبه كرجل ، لو أحبني بقدر ما أحببته لحدثني ببساطة ولساعدته بكل ما لدي من قوة ، ولكنه لم يفعل ٠

ـ الآن تكلمت عن الكبرياء يا ـ غالية ـ ألا تعتبرين ما تفعلينه نوعا من الكبرياء ؟

ـ لا ، لا تظلميني يا ـ منى ـ لقد حاولت وأكثر من مرة وبطرق مختلفة أن أفهم من ـ وائل ـ أو أن أجعله يتكلم بما لديه ولكنه كان يتهرب بطريقة لبقة عن الخوض في حديث كهذا وأحيانا كثيرة كان يجيبني بلهجة حادة ما عهدتها ٠

ـ اسمعي يا عزيزتي ، ما أفهمه أنا أنه قد يكون لديك الحق وقد تكونين مخطئة ، ربما ما تفكرين به لا وجود له وربما الاحاديث الهاتفية لزوجك وصمت الهاتف عندما

تكونين أنت المجيبة ، كل هذا لا يعني أن في حياة ـ وائل ـ امرأة تحتل مكانتك في قلبه ٠

ولو افترضنا أن الموضوع كما تتخيلينه وأن هناك واحدة ، ما الذي يؤكد أن زوجك هو فريسة سهلة ؟

ـ لست أدري، أنا خائفة يا ـ منى ـ ان تصرفات ـ وائل ـ لم تعد تعجبني وأناأشعر بأن هناك أمرا مايخفيه عني ٠ لقد أصبح كثير العصبية ولاتفه الاسباب ، ساعديني ماذا أفعل ؟

ـ حتى الآن ، كنت رائعة يا ـ غالية ـ تصرفي معه بحب ولا تتركيه يتألم مهما كلف الامر ٠

مضت أيام ورحلت ـ منى ـ متمنية لي هـدوء البالواستعادة الاستقرار بأقرب فرصة ٠ أيقظني ـ وائل ـ من غفوتي بعد ظهر هذا اليوم ليعلمني هاتفيا بأن لدينا سهرة وعلي تهيئة نفسي عند حضوره بعد الانتهاء من اجتماع هام له ٠

دقت الساعة الثامنة والنصف ، ـ وسام ـ في فراشه وأنا بانتظار ـ وائل ـ ٠ مضت ساعة وأنا أتمشى في أرجاء المنزل مرتدية فستاني الاسود المنسدل بهدوء تحت ركبتي وحول جيدي ومعصمي هدية زوجي يوم عيد ميلادي الماضي ، خيوطا من الفضة يخالها المرء جزءا من هـذا الجسد تموج بالزهاء ونسي القماش قسما من ظهري فتركه نصف عار ٠

مضت الساعات وشرعت أدخن سيجارة أنفس فيها زفرات فؤادي وشعرت وأنا أراقب اشتعالها البطيء ، ذرة بعد ذرة ، أن كل خلية في جسدي تذوب في لهيبها فاحترت، بين لهيب في داخلي لا أراه واشتعال أمامي ألمس أطرافه ٠

وسرح خيالي ، ـ وائل ـ ليس في مكتبه ، ترى أين هو ؟ ولماذا لم يتصل بي ؟ تكرر هذا ، وضقت ذرعا بأعذاره وعادت الصورة الى ذهني ٠ تخيلته بين أحضانها ، امرأة غانية تفوقني سحرا تخيلتها شقراء يافعة ، لا تمت الى لون سمرتي بأية صلة ، تخيلتها نوعا آخر ، جمال ما رأته عين وكأني بهذا أأبى على نفسي أن يحب زوجي امرأة أقل مني جمالا ٠٠٠ أحس به يبادلها القبلات فتطالبه بالمزيد ٠

وانتفضت من مكاني ، آن للآلام أن تتوقف وآن لهذه النفس الثائرة أن تهدأ وآن للحقيقة أن تظهر ٠ وسبقت عقارب الساعة منتصف الليل عندما حنا زوجي فوق رأسي طابعا قبلته على جبيني وبادرني قائلا :

ـ عذرا يا ـ غاليتي ـ انهمكت في عملي ولم تتسن لي الفرصة بالتحدث اليك ، كم أنت رائعة في هـذا الفستان ٠

نظرت الى عينيه وشعرت برغبة في أن أصرخ بوجهه وأقول له أنت كاذب ، لم أفه ببنت شفة فسألني :

ـ لماذا تنظرين الي هكذا ؟ ألا تصدقينني ؟

ـ وهل تعتقد أنك تكذب علي ؟

فاحمر خجلا ، أومأت اليه بنظري ووضعت يدا على شعره والالم يعصر فؤادي :

ـ (وائل) أتحبني ؟

ـ أنا أعبدك يا ـ غالية ـ ٠

ـ ألا تشعر أن هناك أمرا تخفيه عني ؟

فاحنى الرأس الذي أعبد ، وقبل يدي فبادرته :

ـ هل كنت معها ؟

انتفض من مكانه ونظر الي نظرة المندهش وسألني بحيرة :

ـ **هل تعلمين ؟**

هنا ، شعرت بأن قواي قد انهارت ، اذن صحيح هناك أخرى ، صحيح ما فكرت به ، صحيح كل ما اعتمل في داخلي ، احساساتي كأنثى لم تخطىء ٠ رباه ٠

لست أدري هل درت في الغرفة من شدة اندهالي أم دار رأسي من كثرة الدموع ؟ وأيقظني صوته الحازم :

ـ ولكن لا كما أنت تتصورين يا ـ غالية ـ أنا ما أحببت سواك ولن أسمح لقلبي أن ينبض لغيرك ٠ أقسم لك أنه يوم أشعر أن هذا القلب خان عهدا قطعته لك ، أخرجه من مكانه وأرميه فتكون بهذا نهايتي ٠

وتكلم، فاه بكل ما لديه وبكل ما اعتمل في نفسه ودموع تترقرق في عينيه ٠ شعرت به طفلا يريد حنانا ، يريد حبا ، ليخفف من آلام نفسه ، علمت أن زوجي عاش صراعا يفوق صراعي ٠

واحدة أرادت أن تجعل منه فريسة لها وخالت اليها نفسها أنها حصلت عليه ولكنه أبى ٠٠٠ أبى على نفسه الخيانة ، ربما أخطأ ولكنه انسان وله مشاعر رجل ٠

ـ خفت عليك يا ـ غالية ـ خفت أن أحدثـك بمحاولاتها المستمرة فتسيئين فهم ما حدث ، خفت أن أظل صامتا ولكن ألمي زاد بهذا الصمت ٠ ثقي أني كنت ولازلت لك بقلبي ، بعقلي ، بكل جارحة من أحاسيسي ٠

وسامحته ، بل كنت مسامحة له حتى قبل أن أعرف شيئا منه ٠ وتعلمت ، تعلمت الصبر على زوج له مشاعر وأحاسيس مختلفة ، طبيعته أن الله خلقه هكذا ٠

وتعلم زوجي أنه من الممكن أن تفهم زوجة حقيقة زوجها وأنها مستعدة لمساعدته ٠ وفهمنا أنه دون صراحة لا يمكن أن يستمر عيش ولا يمكن أن يستمر الحب ولايمكن أن تبنى عائلة ٠

مهى الياس



الطبيعة في ديوان اغاني الصبا

د٠ محمد عبد المنعم خفاجي

ـ ١ ـ

تقول الشاعرة المصرية الوجدانية ملك عبد العزيز في قصيدتها ـ ظلام ـ من ديوانها ـ أغاني الصبا ـ :

أعيش مع الطبيعـــة في أمان
تظللني بآيات الحنـــــــان
ولا أخشى ذئبا بالناس تعـوي
فتحرمني أغاريد الجنـــــان

فأضحك ان شدا طير وغنى
وأذرف ان بكت عين السمـاء
وأنشد ان سرى ليـلا نسيم
يقص علي أنباء الضيــــاء

ولكــن أين ألفاهـــا فتصفو
لها نفسي وينتعش الفؤاد (١)

فتعبر في صدق وبساطة وسذاجة معا عن حقيقة يدركها قارىء الديوان ، وهي أن الشاعرة قد استلهمت الطبيعة أغانيها ، واستوحتها ألحانها ، وروت من ينبوعها الثر قلبها الشاعر وروحها الملهمة ، وموهبتها الصناع ٠

وقد احتفى بهذه الحقيقة الناقد الكبير الدكتورمحمد مندور في مقدمته التي صدر بها الديوان ، فذكر أن معظم أغاني الشاعرة تصور حالة من حالات الروح المنفعلة بمشاهد الطبيعة (٢) ٠ وقال : ان شعرها الوجداني الصافي أغلب انفعالاته من مشاهد الطبيعة التي تجاوبت مع روحها (٣) ٠

والشاعرة لا تذكر شيئا عن الطبيعة في شعرها ، في التقدمة التي قدمتها بين يدي شعر الديوان ٠ ولكنها سجلت تأثرها بشعر حافظ والعقادوناجي وعلي محمود طـه وميخائيل نعيمة وشعراء المهجر والصيرفي،مما يدل على أنها لم تتأثر في شعر الطبيعة بأحد من شعراء العرب المعاصرين ، وقد كانت الشاعرة ـ كما تقول ـ كثيرة التأمل للسماء والحقول عند الافق ، وهي تترنم بالشعر وتغنيه ، وتحاول التعبير عن النغم بالالفاظ ٠ ومع ذلك فقد نسيت أن تذكر تأثرها بالشابي ، تأثرا كبيرا ، ينم عليه قصيدتاها : صلاة الخريف ، وبحار الضياء ، على أن هذا التأثر أغلبه كان بفن الشاعر ، والقليل منه كان بشعره في الطبيعة ٠ وأكثر ما تأثرت الشاعرة في هذا الباب انما هو بالشعر الاوربي ، ونلمح ذلك من ثنايا كلامها الذي قدمته بين يدي الديوان ٠

وقد كانت الشاعرة رائعة في تقدمتها لديوانها ٠٠ وتصدير الدكتور مندور الذي يلقي ظلالا على الشاعرة وشعرها ، ربما يتوهم متوهم أن الاحكام النقدية التي جاءت في ثناياه كان للمجاملة نصيب كبير فيها ، خاصة وأن الدكتور مع نفوذ فكره ، وعدالته الادبية ، ومنزلتـه المرموقة في النقد المعاصر غاب عنه أنه ساق الحديث في تصديره للديوان على أنه يحب أن يرد للشاعرة شيئا من الجميل بحديثه عنها وعن فنها ٠٠

ونحن على أية حال نترك لهؤلاء المتوهمين الحكم على الديوان ، وعلى أحكام الدكتور التي وردت في تصديره الممتع العميق ، كما يحلو لهم ، وكما يريدون ٠٠ بيد أني مع الدكتور في أن انفعالات الشاعرة كان أكثرها بسبب تأثرها بالطبيعة ومشاهدها الملهمة الموحية ٠

ـ ٣ ـ

والطبيعة ممثلة تمثيلا كاملا في شعر الديوان ٠٠ ومصورة فيه تصويرا واضحا بشتى صورها وألوانهـا وطيوفها ٠٠ وليس ذلك بعجيب ، فقد استغرقت الطبيعة

نفس الشاعرة وخيالها٠٠ انها تقف حيال الطبيعةومناظرها موقف الشاعر لا موقف المصور ٠ فهي تفيض علىالطبيعة

من احساسها ، ونراها من خلال هذا الاحساس ، وتفجر صورها الموشاة بأحلامها وأحزانها العميقة٠٠ تقولالشاعرة في مطلع قصيدتها « الزنبقة » ، وهي أرفع قصائدها في الطبيعة فنا وأسلوبا وظهور شخصية :

يا عطرك السحري يا زنبقة
يا غابة الاحلام ياموزقة
مروية بالحسن نشوانه
مجلوة مزهوة مونقة

ولعل الشاعرة اضطرت الى لفظة « نشوانة » وان كـان صحتها اللغوية ـ نشوى ـ ٠

ان هذه القصيدة بسحر فنها ، وروعة طلاقتها تعتبر خير ما كتبت الشاعرة من شعر في الطبيعة ، ولها قصيدة أخرى في موضوع هذه القصيدة عنوانها ـ حديث الوردة ـ

ومن قصائد الشاعرة الجميلة في الطبيعة قصيدتها ـ بحار الضياء ـ التي تخاطب فيها ضحوة الشمس ، فتقول :

يا صفاء السماء يا ضحوة الشمس ويا بهجة الربيع الوليد
ضوئي ضوئي بقلبي اني
ظامىء ظامىء لنور جديد

وتقول فيها كذلك في تحرر وانطلاق :

ضوئي ضوئي فاني مشوق
لعناق الحياة ، للاشواق

ضوئي ضوئي وشقي ستار الل
يـل وادعي القافية للانطلاق

وهكذا نجد الشاعرة في هذه القصيدة متفائلة ، تدعو الشمس الى أن ترتفع وترتفع ، لتبدد الظلام والاحزان والقلق ٠

وقصيدة ـ نشوة ـ التي تستقبل بها الربيع بالفرح العميق ، تعد كذلك من أجمل قصائد الطبيعة في شعرها ، وموسيقاها تجعلها أكثر صلاحية للغناء ٠٠ وان كانت الشاعرة في هذه القصيدة ، وفي مواضع أخرى من ديوانها ، تكرر لفظة ـ الفرح ـ (٤) ، وهي لفظة عامية محرفة من اللفظة العربية الجميلة ـ الفرَح ـ ٠

ومن قصائدها كذلك قصيدتها الجميلة ـ الـى القمر ـ ، وقصيدتها في استقبال الفجر وعنوانها ـ فجر جديد ـ ٠

ـ ٤ ـ

واذا انتقلنا الى قصيدة ـ صلاة الخريف ـ التي هي مطلع الديوان نجد أنها ضعيفة الانفعال ، والتجربة الشعرية فيها محدودة ٠٠ وفي صورتها التي رسمتهـا للخريف مناقضات كبيرة ، فقد وصفته بالحزن العميق عمق الحياة ، حزن السرور فاض به القلب ، وتحدثت عن هدوء لياليه وأغنيات السكون فيها ، ووصفته بالرقـة تفعم الحياة ٠٠ وكان أولى بهذا السكون العميق الشتاء ، وبهذه الرقة التي تفعم الحياة الربيع ٠٠ وفي القصيدة تصف الشاعرة غمام الصباح في الخريف فتقول :

باسط جنحه الى الشمس يخفي
رحمة بالورى أوار اللهيب

الصورة كلها مهزوزة ، وتريد الشاعرة جناح الغمام لا جنحه ، والجنح : الطائفة من الليل تمضي وتليها طائفة أخرى ٠

ـ ٥ ـ

واذا كان هنا من صور أخرى للطبيعة من الديوان، فاننا نقف أمام قصيدة ـ انطلاق ـ التي تخاطب الشاعرة فيها الافق البعيد ، في لهفة وحنين :

أيها الشط البعيد
آه يا شط الافق
ليتني أهفو اليك
زورقا يحبو عليك
أمسح الخد بأستار رداك الناعمه
أشرب الزرقة في أكوا بروحي الهائمه

الى آخر هذه القصيدة الجميلة البليغة الرفيعة في تصورها وتصويرها ٠

ـ ٦ ـ

ولا يفوتنا أن نشير الى تأثر الشاعرة بالدكتور أبو شادي وبمدرسة ابولو وبرومانسية هذه المدرسة التي يعد شعر الطبيعة في شعرها مظهرا من مظاهر هذه الرومانسية المتغلغلة في أعماق نفسها وشعرها ٠٠ ودلائل هذا التأثر قد نستطيع تفصيله في موضع آخر ٠

وليس لنا بعد ذلك كله من كلمة الا أن نرحب بالديوان وبالشاعرة ، ونعتبرها صاحبة يد محمودة على الشعر النسوي المعاصر خاصة ، وعلى شعرنا العـربي الحديث عامة ٠٠ وكلنا أمل في أن يكون هذا الديوان نقطة انطلاق جديد ، وخطوة محمودة تليها خطوات « واسعة » بعيدة ، ينال الشعر المعاصر بها حظه على يدي الشاعرة من الثراء والتجديد والتحرر والقوة ٠٠

---

١ ـ ص ٨١ الديوان
٢ ـ ص ١٠ الديوان
٣ ـ ص ١٥ الديوان
٤ ـ راجع ص ٥٩ و ٦١ و ٨١ الديوان ٠



المملكة العربية السعودية

الحياة الاجتماعية

ابراهيم حريب

في القرن التاسع عشر هبت تيـارات جديدة على المنطقة العربية من مشرقها ومن مغربها ، ولعل أهم هذه التيارات التي نعنى بها هو ما جاء مع الحملة الفرنسية على مصر وما هب على لبنان ، البلد ذي الوضع الخاص في ظل الحكم العثماني ، وثمة تيار آخر هب على شرقي الجزيرة العربية عند احتلال الانكليز للخليج العربي ، لكن هذا التيار لم يشأ أن يترك آثارا واضحة على الحيـاة الاجتماعية والثقافية ، فالانكليز لا يهتمون بذلك بقدر اهتمامهم بتنفيذ استراتيجيتهم العسكرية والاقتصاديـة للمحافظة على امبراطوريتهم التي ماكانت الشمس تغيب عنها •

أما التيار الفرنسي الذي هب على مصر ولبنان فقد ترك بصماته على الحياة الاجتماعية والثقافية في كـلا البلدين وما جاورهما من بلاد عربية أخرى ، ففرنسا تسعى الى توطيد استعمارها السياسي والاقتصادي ، الى جانب ترسيخ أقدامها وطبع المجتمع الذي تسيطر عليه بطابع الثقافة الافرنسية • والمثل الواضح على ذلك نأخذه مما أحدثته في لبنان وفي المغرب العربي ، وان اعلان نابليون اسلامه ما هو الا واحدة من تلك المحاولات •

هذه التيارات الاجتماعية والثقافية توقفت عند تخوم الجزيرة العربية وغاصت في رمالها ، فالجزيرة كانت وما زالت مصدر اشعاع ديني وروحي لكل المسلمين في شتى أصقاع الارض ، فاكتسبت قدسية تحطمت عندها كل التيارات المخالفة للتربية الاسلامية الاجتماعية والثقافية ، والجزيرة أيضا ظلت مجهولة عند رواد الغرب ومبشريهم ، لم يشأ أحد اقتحامها وما ينبغي له .

هذا كله أكسبها مناعة وحصانة حالتا دون عمليات التغيير التي تهدف اليها هذه التيارات ، يضاف الى ذلك عامل الصراع العنيف على الحكم ، الا ما قد أحدثته دعوة محمد بن عبد الوهاب ، التي أعطينا لمحة عنها في مقال سابق ، فهي قد استطاعت أن تغير كثيرا من مفاهيم كانت سائدة في تعاليم الدين ، وأن تعود بفكر الناس وايمانهم وحياتهم الى أصول دينية ثابتة واضحة من منابعها الاساسية : القرآن والسنة وما أجمع عليه الائمة ، وأن تؤثر في الحياة الاجتماعية والفكرية بعمق .

ان الصراع على الحكم في الجزيرة العربية أخذ طابعه العنيف بعد الحرب العالمية الاولى التي أحدثت تغييرات هامة في الاستراتيجية السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، فالعثمانيون أخرجوا من البلاد العربية كلها ، واقتسم البريطانيون والفرنسيون مناطق النفوذ بينهما كما حددتها معاهدة سايكس بيكو .

وفي الحجاز كان الاشراف يحكمون ، وفي نجد يحكم آل السعود ، وفي حائل آل الرشيد ، وكلهم ينتمون الى قبائل عربية تشد من أزرهم وتعينهم في كل أمر ، وقد تأثرت هذه القبائل كلها بذلك الصراع ، فانقسم المجتمع في الجزيرة العربية الى مجتمعات تأكلها الاحقاد وتفتتها الضغائن ويمزقها الصراع ، الى أن استطاع آل السعود ، بحروب ضارية شرسة ، القضاء على الاشراف في الحجاز وعلى ابن الرشيد في حائل ، فوحدوا البلاد ـ كما رأينا ـ وأنشأوا المملكة العربية السعودية .

وكانت أمام الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ مهمة شاقة ملحة ، فرضت نفسها على الواقع فرضا ، هي اعادة بناء مجتمع ممزق يسوده الحقد وتعمه البغضاء ، من حروب متتالية ومن دماء أريقت يطلب الثأر لها ذووها ، وفوق هذا وذاك جهل وتخلف .

وكانت الرؤية الصادقة الوضوح تتركز على ضرورة تلاحم المجتمع وتوحيده بالدرجة الاولى بازالة ما ترسخ في النفوس من أحقاد وضغائن ، بعد أن تم توحيد البلاد بدولة واحدة ، وكان الحزم بتطبيق حدود الشريعة الاسلامية على الخارجين عليها وعلى المجتمع كفيلا بازالة الحقد والضغينة من القلوب والنفوس رويدا رويدا ، حتى كادت تنسى وتنسى معها الدماء التي أريقت والثأر لها .

لكن العلاقات الاجتماعية في الجزيرة العربية ، وفي عصرنا الحاضر ، ظلت خاضعة للانظمة القبلية غير المكتوبة ، ليس في الريف والصحراء فحسب ، وانما في المدن أيضا ، ولكنها تتفاوت درجات في كل مجتمع ، فالقبيلة مكونة من أفراد تربطهم القربى ووحدة الدم بوشائج قوية وثيقة .

واللحمة القوية عند المجتمع في المملكة العربية السعودية تأخذ شكلها الهرمي ، مبتدئا بالفرد فالاسرة فالقبيلة فالقبائل فالمجتمع الكبير الذي ترعاه الدولة في اطار سياستها الاجتماعية والتربوية العامة ، ونراها تهدف الى تطوير المجتمع بتطوير العلاقات فيه ، وان مسار النهضة العلمية والعمرانية هو المؤشر الواضح للتطور وهو الذي يبرزه :

وليست هذه الظاهرة مقتصرة على المجتمع في المملكة العربية السعودية ، وانما نلمسها في المجتمعات العربية الاخرى ، غير أن مفهوم القبيلة قد تقلص في مجتمعات المدن ، ليحل مكانه مفهوم الاسرة ، وذابت فيها العلاقات القبلية لتكون العلاقات العائلية في درجتها الدنيا ، وهذ ناشيء من الزحف الى المدن طلبا لحياة أفضل وأكثر رغدا ، حتى كادت تنفصم العلاقات القبلية ، لتبنى علاقات جديدة فرضتها ظروف العمل والانصهار في مجتمع واسع معقد . أما الريف ، وحتى في البلاد العربية ، فبقي متأثرا الى حدود بعيدة بالقبيلة ، ملتصقا بمفاهيمها .

وليس من شك في أن العلاقات الاجتماعية في المملكة العربية السعودية قد تطورت بتطور المجتمع في ظل حكومة ترى أنها منبثقة من ضمير الشعب ووجدانه ، ويجدر بنا الانتباه الى أن هذا التطور في العلاقات الاجتماعية قد اتخذ له اسلوبا يغاير الاساليب المتبعة في البلاد العربية الاخرى . انه ينطلق من فكرتين ثابتتين :

الاولى : الدين برؤية سلفية مستمدة من القرآن والسنة واجماع الائمة .

الثانية : التراث العربي ـ الاسلامي الاجتماعي والفكري .

وهما من وجهة نظر سليمة ، لا تؤديان بالضرورة الى الانفصام عن المجتمعات العربية التي أخذت لها الافكار الغربية أو الشرقية سبلا للتربية والتعليم والحياة الاجتماعية وتطورها ، ولا يشكلان عوائق عن التطور الحضاري العالمي ، بل اننا نرى الامر على العكس تماما من ذلك ، فالتطور في أي مجال من الحياة ، انما يجب أن ينطلق من واقع الطابع المميز والسمات الاصيلة للامة الواحدة وللشعب الواحد ، فما يتلاءم مع نفسية وعقلية شعب ، لا يتلاءم بالضرورة مع نفسية وعقلية شعب آخر ، فلكل شخصيته المميزة التي تكونت من تأثير عوامل مختلفة : كالدين والتراث الفكري والانساني والتربية الاجتماعية ،

وهذه الشخصية ، بكل عوامل تكوينها وتحديد معالمها الذاتية وما تملكه من رؤى ، هي التي تحدد حاجتها الى التطور وقدرتها عليه وتفهمها الحضاري والفكري ٠

وبمقدار قوة وأصالة هذه العوامل المكونة للشخصية العامة ، وأصالة قيمها وتراثها ، تكون قادرة على وعي حاجات حياتها والمتطلبات الحضارية ، مثل قدرتها على الصمود بوجه التيارات التي تهب من شرق ومن غرب تحمل اليها أفكارا مخالفة لا تتلاءم وشخصيتها ٠

والملحوظ أن الفكرتين اللتين أشرنا اليهما ـ الدين والتراث ـ قد وقفتا سدا منيعا بوجه التيارات المختلفة وبقي المجتمع سليما لا تتنازعه صراعات ، ولا تتقاذفه تيارات ، ولا تمزقه مذاهب اجتماعية أو سياسية ، وكان لهذا الامر أثر بالغ في تطور الحركة الادبية وتحديد مسارها ومعالمها في المملكة العربية السعودية ٠

٢

رأينا أن الفرد هو أساس تكوين الاسرة ، والاسرة هي أساس تكوين المجتمع الخاص والعام ٠ وثمة عنصران تتألف منهما الاسرة ويتكون المجتمع ، الرجل والمرأة ، ولكل منهما وظيفته الحياتية والاجتماعية ٠

ان العلاقات بينهما ـ سلبا أو ايجابا ، هي التي تساعد على نمو المجتمع أو الوقوف به أو تمزقه ، وثمة عوامل أخرى مساعدة على تكوين هذه العلاقات وصقلها ، كالنظم التربوية والتعليمية والاجتماعية والقيم التي ورثاها والنشاط الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، يضاف الى ذلك كله عامل أساسي في تحديد هذه العلاقات هو موقف الدين من كليهما ، خاصة في المجتمع الذي ندرس ملامح منه ٠

هذا المجتمع الذي يعنينا هو مجتمع عربي ـ اسلامي، وتتم فيه محاولات جادة وهادفة لترسيخ المفهوم القومي بكل أبعاده ، وتأكيد القيم الاخلاقية والروحية والتربوية التي أتى بها الاسلام ، خالصة من الزبد الغثاء الذي يطفو على ما ينفع الناس ، بغية الوقوف بوجه موجات التغيير التي هبت من كل ناحية ، والتي تهدف الى طبع المجتمعات العربية ـ الاسلامية بطابعها ، وتغذيها بأفكارها التي لا تأتلف وروحها السائدة ٠ لتخرج بحصيلة واحدة ، هي فصل العربي عن قوميته والمسلم عن دينه ، ولو أردنا بحث هذه الامور باستفاضة ، لرأينا الممارسات النشطة التي تقوم هنا وهناك حول اللغة العربية والدين باسم التجديد والحضارة ٠

ان الصمود بوجه الموجات الغريبة العارمة ، لا يعني جمودا أو وقافا عند الماضي بما يحمل من تراكمات مختلفة ، انه صمود عند موقف محدد وفكرة ثابتة رصينة، للانطلاق منهما الى التغيير ، والتغيير حركة ، والحركة دليل على صحة المجتمع وعلى وضوح الرؤية عنده ، فالحركة الذاتية لاي مجتمع ، انما يجب أن تندفع من واقعه ، ومن رؤيته للمشاكل أولا ، ومن القيم الروحية والوجدانية التي تربى عليها ، هي دليل صحة أيضا ، اذا كانت عامل فرز بين الاصيل النافع وبين الدخيل الضار ، لكنها لا تكون دليل صحة اذا كان التغيير كاملا ، باستبدال القيم التي ألفها وعاشها طويلا وطبعت شخصيته بطابع مميز ، بقيم أخرى جديدة عليه ، لا يألفها تفكيره وتراثه ٠

واذا كانت الثروة ضرورية لاحداث الحركة والتغيير في المجتمع ، بوضع عنصريه ـ الرجل والمرأة ـ في مكانهما الطبيعي ، يؤدي كل منهما وظيفته التي خلق لها في الحياة، فان هذه الثروة تكون أداة :

١ ـ للاتصال بالعالم الخارجي ، واقتباس أفكار وممارسات ملائمة لتفكير المجتمع وشخصيته ٠

٢ ـ للتعليم الذي يسهم في تقبل الجديد ، قبولا لا يرفض القديم كله الا ما كان سيئا ، قبولا يساعد على التطور والتفهم لروح المجتمع والعصر معا ٠

وفي ضوء هذه الافكار نرى مكانة المرأة في المجتمع العربي السعودي التي وضعها الاسلام فيها ، ونرى مدى تأثيرها في الحياة الاجتماعية وفي الحركة الادبية والفكرية ٠

ان وظيفة المرأة الطبيعية التي خلقت لها في كل المجتمعات منذ القديم ، تؤديها في البيت ، وهي مؤهلة غريزيا ونفسيا وعقليا لهذه الوظيفة التي نراها أكثر أهمية في بناء المجتمع من وظيفة الرجل ، اذا كان أداؤها محققا للغاية التي أهلت لها ٠

وظيفتها الاساسية هي تنظيم بيت يركن اليه الرجل من متاعبه اليومية ، وليست متاعا كما يراها بعضهم ، وظيفتها النسل ورعايته وتربيته والاغداق عليه كل حنانها ورعايتها وعطفها ، وظيفتها هي تكوين عقل الطفل ونفسه بما لا يشذ عن المجتمع الذي يعيش فيه ، وتلك أشرف وظيفة وأشدها عناء وأغزرها عطاء ٠

وهذا هو الوضع الذي وضعها الاسلام فيه ، ولسنا بصدد بحث مكانة المرأة في الاسلام فقد أشبع بحثا ودرسا ، وقد لا نستطيع أن نأتي بجديد ٠ ان الاسلام جعل البيت مقرا لها ، وحدد وظيفتها في الانجاب والتربية والرعاية ، بالوقت الذي صان لها كرامتها وحفظ لها حقوقها الاجتماعية والسياسية ، وساعدها على أداء وظيفة أخرى في الحياة تتصل في وظيفتها الاساسية ٠

وبمثل هذه الرؤية كانت وظيفة المرأة في المجتمع العربي السعودي ، ولكن ثمة اختلافات سببها الوضع الاجتماعي العام وحظها الضئيل من العلم والمعرفة :

فهي في البادية والريف تعمل مع الرجل في كثير من الشؤون ، الى جانب وظيفتها في البيت ·

وهي في المدن ظلت قعيدة في بيتها ، تنجب وتربي وترعى ، وضمن اطاره تعمل ·

غير أننا نجد المرأة لم تستطع أداء دورها الطليعي في حياتها هذه بالشكل الذي أهلتها له طبيعتها ، وحدده لها الاسلام أو المجتمع الذي تعيش فيه ، فالتراكمات الاجتماعية والاقتصادية المتخلفة من الماضي القريب والبعيد قد أصابتها بوهن بقدر ما أصابت الرجل ، فهي لم تتعلم ، ولم تتغير حياتها · واذا كان الرجل قد نال حظا من العلم والمعرفة بحدود وفي بعض الحالات ، فان المرأة ما نالت مثل هذا النصيب ، ولهذا كان أثرها في التربية تقليديا ، وفي الحركة الادبية والثقافية ضئيلا ·

واذا كانت النهضة التعليمية والتربوية أخذت مسارها الموجه ومست الرجل فنال حظا وافرا منها ، فان المرأة أخذت من جديد مثل هذا النصيب ، وبدأ تعليمها طريقه الى غايته بمناهج تؤهلها لوظيفتها فهما وممارسة، بتربية الطفل وتعليمه في بعض المراحل التعليمية ، فهي الاقدر على تفهم نفسيته بحنانها الغريزي ، وعلى مسايرة عقليته ونفسيته ، الى جانب رعاية الاسرة ومجالات التمريض ·

لكن بعدها عن المجتمع لم يبعدها عن التفاعل معه ، ولا عن التأثير المباشر أو غير المباشر في الحياة الاجتماعية وفي الحركة الادبية والثقافية كزوجة وأم وأخت وابنة ، وهي في الوقت نفسه وضعت نفسها في هذه الحركة وتلك الحياة، فكان منها شاعرات وأديبات ، أغنين الحركة بعطاء جيد ، لكنه ما زال يتعثر ، وأرفدنه بانتاج قد لا يبدو غزيرا ولا هو بمستوى انتاج الرجل الذي ظل أكثر وعيا لمشاكل المجتمع وتأثرا بها من المرأة ، انها بدايات ما نراها الا نامية عندما تتم النهضة العامة نموها ، وعندما يكتمل النمو الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ·

ولا بد لنا في هذا المجال من مقارنة بين وضع المرأة في المجتمع العربي السعودي الذي يحرص على أن تكون التربية الاسلامية هي الركن الاساسي في معاملة المرأة التي تشكل نصف المجتمع، وبين وضعها في المجتمعات التي حررت المرأة من هذه التربية وأعطتها الحرية الكاملة في ولوج الحياة الاجتماعية بكل تفاعيلها ، كالحرية السياسية وحرية العمل وغيرهما ·

لقد اترفت المجتمعات الغربية المرأة بالعطاء المادي ، لكنها أفقرتها بالعطاء الروحي والوجداني فمنحتها الحرية السياسية والاجتماعية ، وفتحت لها أبواب العمل في المصانع والمزارع وفي الدولة ، حتى كادت تفقد طابعها الانثوي ، وشاركت الرجل في وظيفته وفي تحمل أعباء الحياة ، مما صرفها عن وظيفتها الاساسية في تربية الطفل ، وترك أمره الى المربيات المستأجرات اللائي لا يستطعن أن يغدقن عليه حنان الام وعطفها، فسيطر الفكر المادي على الاسرة وأوهن العلاقات بينها وهنا يكاد يفك كل ارتباط معنوي بينها ، فالزوجان اللذان لا يأويان في البيت الا ساعات قليلة من نهار أو ليل ، وبعد ارهاق نفسي وجسمي وعصبي مما يلاقيانه أثناء العمل مفترقين ، ليس في وسعهما ، أو ليس لديهما من الوقت والاستعداد النفسي ، للانصراف الى ملاحظة الطفل ورعاية شؤون البيت ، فتولد عند الاسرة كلها الشعور بالوحدة والوحشة · الى جانب انعدام المسؤولية المشتركة في التعاون والعون · وهذه ظاهرة بارزة في المجتمع الغربي ·

وبعض المجتمعات العربية الاخرى التي تأثرت بالحياة الغربية ، ورأت أن تأخذ المرأة مكانها مع الرجل ، وضعت المرأة في مكان خارج البيت ودفعتها الى وظيفة غير وظيفتها الطبيعية ، فبدأ الوهن يتسرب الى العلاقات العائلية ، وقد يتسرب هذا الوهن الى علاقات المجتمع عامة ·

لكنا نرى الامر يختلف في المجتمعات التي أبقت المرأة في البيت مستقرة ، لتؤدي وظيفتها فيه ، تعمل ضمنه ، تربي الطفل وترعى الاسرة وتغدق عليها من حنانها وعطفها ليبقى الحب والمودة عميقين في نفوس أفرادها من أمهات وآباء واخوة ، وتظل روح التعاون بينها سائدة ، وهذا ينعكس بعمق وثراء على العلاقات العامة في المجتمع كله ، فيجعله متلاحما متعاطفا متعاونا في دروب الحياة الرحبة ·

★ ★ ★

تلك ملامح من المجتمع في المملكة العربية السعودية · مجتمع متخلف ورث التخلف من تراكمات عميقة الجذور ، أخذ يستفيق ، وبدأ نهضة شاملة في جميع مرافق الحياة ، ظلت التربية الدينية بكل قيمها هي السائدة ·

وتبدو فيه العلاقات الاجتماعية طبيعية ، استطاعت الدولة أن تقضي على أحقاد وضغائن تراكمت، وأن تقضي على أسبابها وعواملها وظواهرها ·

وأبعدت المرأة عنه ، لتنزوي في بيتها ، تؤدي فيه وظيفتها الاساسية التي خلقت لها ، ولكنها تفاعلت بالحياة الاجتماعية وأثرت فيها ·

كل ذلك ، كان له الاثر البالغ في الحركة الادبية والثقافية ، وسنراه في مقال آخر ·

دمشق **ابراهيم حريب**

تطور مستوى الحياة في تشيكوسلوفاكيا

نقصد بمستوى الحياة ايجاد الشروط الملائمة لتلبية حاجات المجتمع المادية والثقافية • فمما لا ريب فيه بهذا الصدد أن تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية قد حققت تقدما هاما خلال السنوات الثلاثين من وجودها •

ويجب ألا يغرب عن بالنا أيضا أننا لدى اجراء المقارنة مع بلدان العالم الاخرى لا يمكننا التعبير عنها بالارقام لكنها ليست أقل ارتباطا بالاستهلاك المادي للسكان وهي استبعاد البطالة والشعور بالاستقرار الاجتماعي وتوقعات المستقبل ، الخ ، وحيث أن المجتمع الدولي يولي اهتماما بكل شخص منذ ولادته وحتى شيخوخته ، فمن البديهي أن النظام الاشتراكي هو النظام الوحيد الذي يضمن هذه الميزات •

تعالوا قبل كل شيء ندرس الناحية المادية لمستوى الحياة ، أي الاستهلاك المادي • ففي عام ١٩٣٦ ، ارتفع استهلاك الحريرات بالنسبة للفرد الواحد في تشيكوسلوفاكيا الى ٢٥٤٥ حريرة، وهو في الوقت الحاضر يقارب ٣١٠٠ حريرة • وعلاوة على ذلك ، فان توزيعه بين مختلف الطبقات الاجتماعية موحد أكثر بكثير مما كان في عهد الجمهورية الرأسمالية • وتصل هذه الكمية المرتفعة من الحريرات للفرد الواحد تقريبا الى مستوى كثير من البلدان الاخرى •

ونحن نسعى خلافا لذلك الى تحسين البنية الداخلية للاستهلاك بزيادة نسبة الاغذية من المصادر الحيوانية • ولا بد لنا من الحصول على زيادة متسارعة في استهلاك الحليب والبيض والشحوم النباتية ، ونقصان في نسبة الحبوب والسكر ، وزيادة سريعة في استهلاك الفواكه والخضار ،وتوقيف لازدياد استهلاك المشروبات الكحولية • وهذا يعني أن الكميات المستهلكة عام ١٩٨٥ يجب أن تكون ٨٠ كغ تقريبا بالنسبة للحوم و ٢٠٤ كغ بالنسبة للحليب و ١٩٥ كغ بالنسبة للفواكه والخضار • وبهذه الارقام تتعلق مهام انتاجنا الزراعي في السنوات ١٩٧١ الى ١٩٧٥ • وبذلك سوف ينخفض نصيب المصاريف الخاصة بالاغذية في رقم الاعمال الاجمالي لتجارة المفرق وبنسبة ٤٩٪ الى ٤٥ ـ ٤٦٪ وهو يتطابق مع التطور في جميع البلدان الصناعية المتقدمة في العالم •

أما فيما يتعلق باستهلاك السلع الاستهلاكية الاساسية ، فهي أيضا مرتفعة نسبيا •

بالنسبة لاستهلاك الاحذية (٥ أزواج في السنة) للفرد الواحد ، تشغل تشيكوسلوفاكيا أحد مراكز الصدارة في العالم • وهذا واضح جدا من انتاج بلادنا ١٢٠ مليون زوج أحذية في كل عام •

والاستهلاك في بلادنا عظيم بالنسبة للتجهيزات المنزلية وهو ينمو بسرعة كبيرة جدا • وخاصة خلال هذه السنوات الاخيرة •

أما فيما يتعلق ببعض المواد ، فمن الواضح أننا نقترب من اليوم الذي يصبح فيه تجهيز المنازل ١٠٠٪ ٠ وننوه أيضا فيما يتعلق بزيادة الدخل العائلي أن العاملين من السكان يعيرون اهتماما متزايدا بالسلع من النوعية الجيدة التي تتمتع بقيمة استعمال عالية وذات سعر غال ٠ وذلك على الاخص بالنسبة للغسالات الالية والسيارات الخاصة والشاليهات والتلفزيونات الملونة وأجهزة الراديو الكبيرة والاثاث من النوعية الجيدة وصناديق التبريد والتجليد الخ ٠

وهناك مشكلة ذات شأن خطير جدا هي مشكلة المساكن ٠ ويمثل نقص المساكن في الوقت الحاضر واحدة من حالات التفاوت الرئيسية بالنسبة لمستوى حياة السكان ٠ فعلى الرغم من أنه قد تم انشاء مليون ونصف مليون مسكن من عام ١٩٤٨ الى عام ١٩٧٠ ، فقد كان هنالك في نهاية عام ١٩٧٠ نقص لا يقل عن ٢٣٠٠٠٠ مسكن ٠

وقد أضيف الى الـ ٣٣٠٠٠٠ مسكن التي بنيت من ١٩٧١ الى ١٩٧٣ ١٢٨٠٠٠ مسكن بني في عام ١٩٧٤ ٠ وقد لحظ المؤتمر الرابع عشر للحزب الشيوعي التشيكوسوفاكي ٥٠٠٠٠٠ مسكن ، وأنجزت هذه المهمة في أربعة أعوام بنسبة ٩١٪ ٠ ويمكن الافتراض أن المساكن المبنية خلال الخطة الخمسية ستبلغ على الاقل ٥٧٠٠٠٠ مسكن ٠

من العوامل التي تؤثر تأثيرا ملائما في مستوى حياة السكان ، نذكر الصفة الحديثة لنظام الصحة العامة بكامله ، والضمان الاجتماعي وضمان التقاعد ٠

وحتى عام ١٩٤٥ ، لم تكن العناية التي أوليت لصحة العمال قد تطورت الا على نحو مرض قليلا ٠ وكان عدد الاسرة في المستشفيات غير كاف ، وكان هنالك نقص في التجهيزات ، وكان الاطباء ومساعدوهم قليلي العدد ٠

ان التغييرات الاجتماعية التي ظهرت في عام ١٩٤٨ قد خلقت الشروط للتطور الاشتراكي حتى في نطاق الصحة العامة ٠ ومن المكتسبات الرئيسية للعمال حماية الصحة والمعالجة المجانية ٠

وندرك في ظل هذه الظروف أن حالة السكان الصحية تتحسن بنسبة تقدم تحسن الخدمات الصحية ٠

ويستفيد كل السكان من الضمان الاجتماعي الذي يتألف من جميع أنواع الاعانات والخدمات ـ كاعانات المرض والتعويضات العائلية والامومة ومعاشات العجز والشيخوخة والخدمات المقدمة للمرضى ٠

ويتلقى الاشخاص المسنون ذوو القدرات الجسدية أو الملكات العقلية القليلة العنايات اللازمة في المؤسسات الخاصة ٠ وهنا أيضا ، تجري معادلة الغاء تراث الماضي عن طريق انشاء مؤسسات جديدة أو استبدال المباني العتيقة بمباني حديثة ٠

ويشكل تطور الثقافة بمعناها الاكبر واحدا من الشروط الاساسية للتطور الديناميكي للمجتمع الاشتراكي ٠ وقد ازداد عدد بيوت الثقافة وقاعات السينما ومتاحف الفن والمسارح زيادة كبيرة منذ عام ١٩٤٥ ٠ ومن الاهمية بمكان ذكر التطور الذي لا سابقة له للابداع الفني الشعبي والنشاط الادبي والموسيقي والدراسي ٠ ونشر الكتب والجرائد والبث الاذاعي والتلفزيون والافلام ٠

ان جميع القيم الثقافية والتقدم في العلوم والتكنولوجيا متاحة من الان فصاعدا الى الجماهير الشعبية الواسعة ٠

تمثل السنة الاخيرة من الخطة الخمسية الخامسة أيضا نقطة انطلاق للخطة الخمسية السادسة ٠ وتشهد الاعمال الجارية بشكل متزايد أن الشروط الجديدة نوعيا والاكثر صرامة هي التي ستتسم بها هذه الفترة ٠ ان التضخم وارتفاع الاسعار في الاسواق الرأسمالية الذي لم يعرف حتى الان منذ نهاية الحرب العالمية الثانية يميز وضعا معدلا ٠ ونحن نساعد في نفس الوقت على تغيير في العلاقة بين تطور أسعار المواد الاولية والمحروقات من جهة وبين المنتجات المنتهية من جهة ثانية ٠

ومن الجلي أن هذه الاتجاهات ستطول مدتها وسيكون من الضروري أخذها بعين الاعتبار أثناء تهيئة الخطة الخمسية السادسة ٠ وليست مهمتنا سهلة ، فمن الاهمية بمكان اعداد مبادىء توجيه للخطة الخمسية السادسة تضمن بالرغم من المتبدل تبدلا عميقا ازديادا مستمرا في الانتاج والاستفادة من جميع الموارد بقصد رفع مستوى حياة السكان ولا بد لهذا الادراك للتطور الاقتصادي أن يعتمد بالضرورة على رفع كفاية جميع العلاقات الاقتصادية ، كما أن من الاهمية بمكان أيضا دراسة وتحقيق امكانية رفع ايجاد الموارد والاقتصاديات القصوى المتحققة في الاستفادة منها ٠

عقب الظروف المعدلة ، سيكون من الممكن على الاخص البحث عن حل لتوسيع التعاون الاقتصادي مع البلدان الاشتراكية والمساهمة المنهجية للاقتصاد الوطني التشيكوسلوفاكي في انجازات البرنامج المعقد للتكامل الاقتصادي والاشتراكي ٠ وفي الوقت نفسه ، سنسعى الى الاستفادة من العلاقات الاقتصادية المفيدة تبادلنا مع البلدان الرأسمالية والقابلة للمساهمة في التطوير المقبل لاقتصاد بلادنا الوطني ٠



● الفنانة السورية وجيهة عبد الحق ، عالمة الموسيقى صممت قيثارة ، سمتها قيثارة دمشق ، وقد سجلت اختراعها في أوروبا وأمريكا . وسجلته أيضا في القطر العربي السوري ،

الفنانة عبد الحق وأسرتها صنعت أربع نسخ من هذه القيثارة ، أهدت واحدة منها - بيانو صالون - الى قصر اليونسكو في باريس باسم السيد الرئيس حافظ الاسد . وقد وضعت الفنانة دراسة اقتصادية لمشروع تصنيع هذه القيثارة ، ووضعتها بين أيدي المسؤولين لاقراره ، بعد أن رفضت عروض دول أخرى لصنعها .

● عن دار الاداب في بيروت ، صدرت مجموعة شعرية للشاعر فؤاد كحل ، بعنوان - وتولد بيروت وجها جديد - وهو الديوان الرابع للشاعر .

● معهد التراث العلمي العربي في جامعة حلب ، يقوم بنشاطات متعددة الجوانب ، فهو يعكف اليوم على اعداد دليل سنوي للباحثين ، يتضمن أسماء وعناوين مؤلفات العاملين في مجال البحث في تاريخ العلوم عند العرب المسلمين ، وأعلن عن الندوة التي سيعقدها في عام ١٩٧٩ ، وسيكون موضوعها تاريخ العلوم عند العرب ، أول ندوة عقدت في عام ١٩٧٦ . وسيشترك المعهد في المؤتمر الذي سيعقد خلال شهر آب في ادنبره لبحث تاريخ وفلسفة العلوم .

● عن دار النهار في بيروت ، صدرت رواية ليوسف حبشي الاشقر بعنوان - لا تنبت جذور في السماء - .

● وفي بيروت صدر كتاب للاستاذ ناصيف قصار بعنوان - طريق الاستقلال الفلسفي .. وسبيل الفكر العربي الى الحرية والابداع . حاول فيه مؤلفه ايجاد نظرة فلسفية خاصة تعبر عن النزعات العميقة للنهضة العربية ، وايجاد نوع من الاستقلال الفلسفي العربي عن طريق رسم منهج واضح ومحدد له .

● - لبنان من الفتح العربي الى الفتح العثماني - كتاب صدر عن دار النهار في بيروت للدكتور محمد علي مكي ، يسد هذا الكتاب فراغا كبيرا في المكتبة العربية ، أرخ فيه مؤلفه فترة من تاريخ لبنان .

● وعن دار النهار أيضا صدرت رائعة جبران خليل جبران - النبي - . ترجمها الى العربية الشاعر يوسف الخال ، ضم اليها ١٦ رسما لجبران ، تنشر لاول مرة .

● أميرة الزين الاديبة اللبنانية ترجمت الى الفرنسية مع زميلها عارف منمنة مجموعة شعرية لشعراء لبنانيين ، مثل : زياد الرحباني وسليم مكاوي وأميرة الزين وجيروم شاهين ، وغيرهم من الذين يعيشون في فرنسا .

● - للموت لهجة لبنانية - عنوان كتاب صدر في الكويت للاديب ذي الفقار قبيسي ، الكتاب مجموعة كلمات في الحب ، بكل ما يحويه من حنين وشوق وتعاطف ورغبة في التواصل والتوافق ، قد خرج اثر المحنة اللبنانية ، حيث الالم الصادق على الوطن والحنين اليه .

● - بوابة مورو - رواية جديدة للاديب المهندس سعيد سالم ، صدرت في القاهرة ، الرواية تتحدث عن حياة الصيادين في مراكب الصيد ، وعن الصراع الحاد بين البورجوازيين والكادحين ، وتصور القلق الذي يسيطر على حياة الشباب وقلوبهم وعقولهم .

● يصدر قريبا عن المكتب الدائم الاسيوي - الافريقي للكتاب ، كتاب يضم مقطوعات افريقية واسيوية مترجمة الى العربية لكتاب افريقيين وآسيويين ، بغية التعرف على أدبهم وعلى الحركات الثقافية في القارتين ، يشرف على اصدار هذا الكتاب الاستاذ عبد العزيز صادق .

● الاستاذ عبد العزيز دسوقي نشر كتابا عن حياة الشافعي في سلسلة أعلام العرب . درس فيه حياة الامام الشافعي ومذهبه وآراءه في الفقه الاسلامي .

● - أتحدى بهواك الدنيا - مجموعة شعرية صدرت في القاهرة للشاعرة علية الجيار ، تضم أربعا وخمسين قصيدة ، يدور معظمها حول ألوان وصور من الحب . للشاعرة ديوان ، نشرته منذ أمد ، عنوانه - الى الحب -

فغابت بعده عن المسرح الادبي تسع سنين ، لتعود اليوم اليه حاملة ديوانها الجديد ٠

● ـ دقات فوق الليل ـ عنوان الديوان الجديد الذي صدر للشاعر المصري الدكتور عبده بدوي ٠

● **الدكتور شوقي ضيف أصدر كتابا جديدا عنوانه ـ الشعر وطوابعه عبر العصور ـ ٠**

● دراستان جديدتان عن الشاعر العظيم أحمد شوقي للدكتور أحمد الحوفي ، صدرتا في القاهرة ٠ الاولى : الاسلام في شعر شوقي ٠ والثانية : النسيب في شعر شوقي ٠

● **ـ دراسات حول الادب في المملكة المغربية ـ من تأليف فتحي سلامة الاستاذ بجامعة محمد الخامس في الرباط ، كتاب يصدر في هذا الشهر ، الكتاب يدور حول القصة الحديثة والدراسات النقدية التي تعرضت للقصة ، وتناول المؤلف فترة ما قبل الاستقلال حتى السبعينات بالدراسة والتحليل ٠ المؤلف وضع كتابه باشراف الدكتور رشدي فكار ٠**

● **الدكتور** عبد العزيز الدسوقي ، صدر له عن المجلس الاعلى لرعاية الاداب والفنون في القاهرة كتاب نقدي جديد عنوانه ـ تطور النقد العربي الحديث في مصر ـ تحدث فيه عن الدراسات النقدية التي صدرت خلال القرن الماضي ٠

● **ـ أعلام الشعر العربي في الجزائر ـ عنوان كتاب من تأليف الدكتور صالح الخرفي مدير ادارة الثقافة في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم صدر في الجزائر ٠ الكتاب تعريف بمسيرة الشعر العربي بالجزائر (١٩٣٠ ـ ١٩٧٠) ودراسات علمية لسيرة ثلاثين شاعرا عربيا جزائريا ، الحق بالكتاب ١٥٠ صفحة ضمت قصائد كاملة لشعراء جزائريين غير معروفة وتنشر لاول مرة ، ويرى المؤلف أن الشعر العاطفي دخيل على الشعر الجزائري الحديث وغريب عنه لوفرة الشعر الديني والاجتماعي والسياسي والوطني ، بسبب مأساة الاستعمار والتقاليد القومية في الجزائر ٠**

● قررت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية وضع موسوعة البحار العربية ٠ ويدعو الاستاذ محمد رفعت المنسق الاقليمي لبرنامج حماية البحر الاحمر وخليج عدن ، علماء البحار العرب للاسهام في هذه الموسوعة من أجل حماية ثروات البحار العربية ٠

تتولى جامعة الملك عبد العزيز في المملكة العربية السعودية عبء اصدار هذه الموسوعة وتأليفها ، وقد اعتمدت الدكتور فواز توفيق عميد كلية العلوم فيها والدكتور حسن حمزة رئيس قسم الاحياء الاشراف على إصدار هذه الموسوعة ، بعد أن رصدت ما يلزمها من مبالغ في ميزانيتها ٠

● **في جامعة سمرقند السوفياتية اكتشف مخطوط هام ، يعد أقدم قاموس عربي ، وضعه العالم الهندي علي ابن موسى سجاني الذي عاش في القرن الثاني عشر ٠ في هذا القاموس شرح لكثير من المصطلحات العربية وتوضيح لاصولها ٠**

● وفي لندن صدر كتاب بالانكليزية عن الشاعر العربي الجاهلي امرىء القيس الكندي ٥٠٠ ـ ٥٣٥ م للكاتب الانكليزي تشار لوج توتيلي الكتاب يبحث في الظروف التاريخية للجزيرة العربية وترجمة لحياة الشاعر الجاهلي ، وعوامل عدم تمكنه من الثأر لوالده القتيل ٠ ويضع الكاتب امرىء القيس بمكانة الشاعر الاغريقي هوميروس بالنسبة للادب اليوناني ٠

● **شهدت باريس خلال شهري أيار وتموز أربع تظاهرات فكرية وفنية ٠**

الاولى : ندوة الامير عبد القادر الجزائري ، أشرف عليها في الكوليج فرانس المستشرق الفرنسي جاك بيرك ٠ الثانية : معرض الخط العربي الذي أعدته وزارة الثقافة والارشاد القومي في القطر العربي السوري وأقامته في مركز الفنون الحديثة ، وحضرته الدكتورة نجاح العطار وزيرة الثقافة في القطر العربي السوري ٠ الثالثة : معرض الفن الاسلامي الذي أقيم في القصر الكبير ٠ أما الرابعة : فهي معرض الفن العربي مستمدا من صروح القاهرة ٠

● صدر في باريس كتاب باللغة الفرنسية هو ترجمة لكتاب الموسيقى العربية الذي ألفه بالالمانية حبيب حسين توما ٠ الكتاب تاريخ مختصر للموسيقى العربية ودراسات للبيئة الاجتماعية والثقافية التي عاش فيها موسيقيون عرب ، ويضم الكتاب صور مختلف الالات الموسيقية التي استخدمها العرب ٠

● **وباللغة الفرنسية صدر كتاب في باريس عنوانه ـ دراسات عن الاسلام ـ لمؤلفه الكاتب الفرنسي روبير برتشيتفنغ ، ركز فيه على الاسلوب البلاغي في القرآن الكريم ٠**

احتفالات في اعماق غابة

بقلم : بايك هاك ريم

اجتمعت وحدات جيش الثورة الشعبية الكورية في بيتاتينغ تسو ، في مقاطعة تشانغ باي ، في مطلع شهر نيسان من سنة ۱۹۳۹ ، بناء على أوامر الماريشال كيم ايل سونغ ، قائد الثورة الكورية العظيم .

كان ذلك في الربيع ، وقد نبتت على الجوانب المشمسة من الهضاب نبتات خضراء يانعة ، الا أن بقايا من ثلوج الشتاء كانت لا تزال ظاهرة في ظلال الصخور .

وسررنا كثيرا بقدوم الربيع وابتهجنا . كنا سعداء جدا ، أولا لاننا أمضينا بالظفر شهر اذار بما فيه من قسوة ، وأكثر من ذلك لاننا التقينا برفاقنا بعد فراق دام شهورا عديدة . كانوا أشد بأسا من أي وقت مضى ويتمتعون بروح معنوية عالية ، فلم تكن لفرحتنا حدود . وفوق ذلك كله فقد كان علينا أن نتوغل قريبا داخل أرض الوطن من جديد بقيادة الماريشال كيم ايل سونغ شخصيا ،وكان حماسنا في قمته ، وروحنا المعنوية عالية علو السماء، وقد تميز هجومنا الربيعي منذ البداية بشجاعة نادرة . وزحفنا بادىء ذي بدء على تيشونشياتيان ، في مقاطعة تشانغ باي في الثاني عشر من نيسان وقضينا بأولى حفنات نيراننا في هجومنا الربيعي على ما روجه الاعداء من دعايات كاذبة من أن الفدائيين قد أبيدوا جميعا وانتهوا . فكان لذلك الاثر الكبير في تحريض الشعب للقتال ضد اليابانيين .

واستمر هجومنا الربيعي بلا هوادة . وأغرنا على شيه ووتاوكو يوم السادس والعشرين من نيسان تحت شعار « لنحتفل بيوم أيار بانتصارات بطولية عظيمة » .

ولقد قتلنا وجرحنا أعدادا ضخمة من جنود العدو ، واستولينا على كميات هائلة من المعدات الحربية ، ودمرنا القاعدة التي أقامها العدو لتنطلق منها الحملات التأديبية

على وادي كونغول في مقاطعة تشانغ باي ٠

وعاد الماريشال كيم ايل سونغ بعد المعركة الى ماتينغ شانغ في هسياوليه شوى ، حيث أمر الوحدات جميعا بنيل قسط من الراحة ، ودعا قادتها الى اجتماع ٠

ولما كنا قد تحركنا للهجوم الربيعي بعد ما عانينا من قسوة آذار ، فقد شعرنا ، نحن مقاتلو جيش الثورة الشعبية الكورية بشيء من التعب عشية الحملة نحو أرض الوطن ٠ ولهذا الاعتبار فقد طالب الماريشال كيم ايل سونغ بأن تكون الاحتفالات بيوم أيار بهيجة زاهرة ليوفر للفدائيين سمرا وليرفع معنوياتهم ويشحذ همتهم ٠

وعند انتهاء الاجتماع ، أعطى الماريشال تعليمات مفصلة حول الاحتفالات بيوم أيار ٠

يوم الثلاثين من نيسان ٠

عند الغسق ، وما أن أسدل الليل أستاره ، حتى ازدادت الحركة في المعسكر السري في غابة ماتينغ شانغ ، لقد كان الرجال مشغولين بالاستعدادات لاحتفالات العيد، وكان بعض الفدائيين منهمكين بصنع أزهار من الورقداخل خيامهم ٠٠ وساد جو من الحيوية والبهجة في كل مكان ، في المطابخ حيث تعد الاطعمة الشهية ، وخارجا في ممرات الغابة حيث تعد الارض لاحتفالات العيد ٠

وأعطى الماريشال كيم ايل سونغ الاوامر لكل الوحدات بتشديد الحراسة وخاصة أثناء الليل ، وسمح للآخرين بتناول كأس ٠ وأقيمت هنا وهناك في الغابة موائد لا تنسى ، على بساطتها ، وكان في ذلك احتفال مسبق للحملة المنتظرة نحو أرض الوطن ٠

وكان معنا بعض الحطابين الفقراء والقرويين من شيهوتاوكو ، اذ كانوا مدعوين للمشاركة بالاحتفال ٠ وقد شربنا نحن أيضا ، عناصر المقر العام ، بعض الكؤوس ، وبعد برهة تسللت خارج الخيمة ٠

كانت برودة الليل مريحة ، وجو الغابة مفعما بالانغام يعكس أصوات الغناء والضحك والعزف على الناي والهارمونيكا ٠ وخيمت على المكان موجة عارمة من مظاهر الفرح غمرته بالبهجة والسرور ٠ وخرج الماريشال كيم ايل سونغ من الخيمة بعد الاحتفال ٠ وكلما تقدم بنا الليل خف الضجيج وخيم الهدوء شيئا فشيئا على أرض المعسكر، حتى بدا كل شيء ساكنا وأخذ القمر يطل علينا من عليائه فوق أطراف حديقة العرار الكبيرة في الوادي الغربي ، وأخذت النجوم تتلألأ في السماء الى الجنوب من نهر امنوك غانغ ، وكان منا على بعد عشرين ري فقط (الري يساوي ٣٩٢٧ مترا في النظام المتري) ٠

وقف الماريشال كيم ايل سونغ طويلا ينظر نحو الجنوب ، لعله كان يفكر بالمواطنين المعذبين على أرض الوطن ، تحت ظلم اللصوص الامبرياليين اليابانيين وطغيانهم ، أو كان يفكر في خطة عمليات تقدم جيش الثورة الشعبية الكورية في أرض الوطن ٠ وتعقبت خطوات الماريشال ، فراح ينتقل من خيمة الى خيمة ويتفقدالفدائيين في نومهم ويصلح غطاء من يراه مكشوفا ٠

وعاد الماريشال الى خيمة مركز القيادة ٠ الا أنه لم يذهب الى فراشه ، وانما طلب مني أن أنام ٠ سألته : ألا تريد أن تأوي الى فراشك ؟ فقال وهو يفتح كتابا انه فأعل قريبا ، فترددت قليلا ثم خرجت من الخيمة ووقفت ببابها أحرسه وأنا أفكر : لقد بدأ بقراءة كتاب في هذه الساعة المتأخرة ، على ذلك فربما بقي صاحيا طوال الليل٠

وبزغ الفجر شيئا فشيئا ، لقد حان صباح يوم أيار ٠

جاءت عناصر من سرية الحراسة الى مركز القيادة يحملون أزهارا ورقية قرمزية كانوا قد صنعوها بعناية طوال الليل ، وعلقوا واحدة على صدر الماريشال وكذلك علقوا أزهارا ورقية كبيرة على صدور مندوبي العمال والفلاحين ٠ فانتصبت زهرة قرمزية فوق صدر كل واحد من المقاتلين المصطفين بانتظام على أرض الاحتفال ٠

نصبت تحت أشجار الحور منصة علقت فوقها لافتات

تحمل شعارات : « اتحدوا يا عمال العالم أجمع ، و « تحيا الثورة الكورية » ، وكانت ترفرف في كل مكان أعلام حمراء ورايات بألوان خمسة لتضفي على مشهد المهرجان القائم في الغابة لونا من البهجة المتألقة ·

وعندما مر الماريشال كيم ايل سونغ أمام الاعلام وصعد الى المنصة يرافقه رؤساء الوحدات وممثلو الجنود ومندوبو المواطنين المحليين ، قدمنا لهم التحية بأمر من الرفيق أو جونغ هوب ، قائد الفرقة السابعة · وما هي الا لحظات حتى أطلقت الحناجر نشيد يوم أيار ، وعم صداه أرجاء الغابة ، فامتلأت بهجة · لقد بدأ اجتماع يوم أيار ، يوم مهرجان العمال في جميع أنحاء العالم ·

يا عمال العالم أجمع ، اسمعوا

نشيد يوم أيار ، انه يهز الارض هزا ···

أنشدنا نشيد الطبقة العاملة في العالم أجمع ، ونحن نحس بفخر عظيم لاننا كنا نقف في مركز للحركة الشيوعية العالمية ، واقع في أقصى الشرق من الكرة الارضية ·

ثم ترجل الماريشال كيم ايل سونغ بين تصفيق الفدائيين وتحياتهم وهتافاتهم المدوية ، ونظر الينا بهدوء ، نحن المقاتلين الواقفين من حوله ، بعينيه الصافيتين اللتين تنمان عن الذكاء · واهتزت أجواء الغابة طويلا بالتصفيق عندما هنأالماريشال كيم ايل سونغ الافراد والضباط وممثلي الشعب المحليين بيوم أيار ، عيد العمال فوق كل أرض ·

تحدث عن أصل يوم أيار وعن معناه التاريخي ، وأخيرا تحدث مطولا عن الوضع السياسي في كوريا وعن وضع الحركة الثورية الكورية ، وعن نمو الحركةالعمالية العالمية ، وعن انتصار الحركة الشيوعية في الاتحاد السوفييتي · وفي الحديث عن واجبات جيش الثورة الشعبية الكوري القتالية قال :

كان التيار الثوري في كوريا يسير ببطء ، وبفضل انتصاراتنا في بوتشونبو وفي كثير من المعارك الاخرى ، وبفضل نشاطات عمالنا السياسيين داخل أرض الوطن ، فقد نما هذا التيار الثوري وتوفر عند الشعب أمل في التحرير الوطني ، فانضم الى المنظمات الثورية بمزيد من العزيمة ، الا أن الامبرياليين اليابانيين ، أعداءنا الحاقدين قد سنوا قوانين صارمة جائرة ، ووسعوا قوى الشرطة لديهم ، لتوقف مواطني كوريا وتزج بهم في السجون وتقتلهم · انهم يسعون الان جاهدين ليحرموا الشعب الكوري من لغته · وعلى ذلك فان التيار الثوري الدافق يتراجع من جديد ، ان هنالك غيوما سوداء تخيم فوق أرض الوطن ، ويجب علينا أن نبدد هذه الغيوم ونمليء نفوس الشعب بالثقة والايمان ، وذلك بأن نحقق المزيد من الانتصارات الباهرة · علينا أن نجعل العالم بأسره يشهد بأن الشعب الكوري، وهو البعيد عن أن يستكين للامبرياليين اليابانيين ، مشبع بالتصميم القوي على تحقيق التحرير الوطني · ولكي يحقق هذه الواجبات ، فسوف يبادر جيشنا الثوري فورا الى تنفيذ طلعة داخل أرض الوطن ·

فأبدى المقاتلون جميعا حماسا واقداما لا مثيل لهما· وما أن أتم الماريشال كيم ايل سونغ كلمته حتى انطلق التصفيق ، ودوى طويلا على أرض الاحتفال في الغابة الهادئة ·

وكنا نحن الذين حضروا الاحتفال جميعا واثقين من النصر الاكيد في مجابهة أي صعوبة · كنا نحن المقاتلين مملوئين بالتصميم على أن نضحي بكل قطرة من دمنا في سبيل احراز النصر · ولقد كنت متحمسا جدا ، حتى أنني كنت لا أستطيع أن أهدىء نفسي الا بصعوبة بالغة ، ومرت بخلدي آلاف الافكار ودغدغت مخيلتي ·

وكما قال الماريشال ، لقد سلكنا طريقا شائكا منذ أولى أيام تأسيس جيش الفدائيين · فلقد كان الشتاء الماضي في الحقيقة قاسيا جدا ، واستمر عشرات الالوف من جنود

العدو في تعقبنا طوال الشتاء ، واستعانوا بالطيران لقهرنا، وفوق ذلك كله فلقد أمضينا أكثر من شهر على الطوى ٠

لقد كان الطقس قاسيا ، أربعون درجة تحت الصفر

والثلج يتراكم حتى بلغ ارتفاعه المترين وهو يغطي جذور الاعشاب ويخفي كل ما يمكن أكله ٠ الا أننا استطعنا أن نشق لانفسنا طريقا عبر أكوام الثلوج وخففنا من وطأة الجوع علينا بالثلج ولطفناه٠

هكذا قاتلنا العدو وقهرناه ، وبفضل ما نتمتع به من ايمان ماركسي لينيني ، فقد كنا متأكدين من التغلب على العدو وقهره وتدميره ، ويشجعنا تشجيعا عظيما كون الماريشال كيم ايل سونغ هو الذي يقود الثورة اذ نستلهم

منه الثقة والقوة والعزيمة ، فكنا نقاتل وفقا لستراتيجية الماريشال كيم ايل سونغ الباهرة وتحت قيادته الحكيمة ، يساعد واحدنا الاخر بروح من المرافقة الحارة ٠

وألقيت نظرة علىالرفاق في السلاح وقرأت في ملامحهم تعابير تدل على ما ينطوون عليه من جدية وتصميم

يركن اليه ويعتمد عليه ٠ لقد كان واضحا في وجوههم أنهم واثقون من النصر الاكيد ومصممون على النضال بعزيمة كجنود ماركسيين لينينيين متحدين تحت قيادة الماريشال كيم ايل سونغ ٠

وصعد الرفيق آن غيونغ سوك الى المنصة ، وأعلن باسمنا ، بلهجة حماسية ، عن تصميمه على أن يقدم المزيد

من الجهد في سبيل تنفيذ الواجبات الثورية التي يقررها الماريشال كيم ايل سونغ ، وعلى أنه سوف يقاتل حتى آخر قطرة من دمه ٠

ثم ألقى مندوب العمال كلمة هنأ فيها بالعيد ٠

اني لا أستطيع أن أنسى المندوب حتى يومنا هذا ٠ لقد كان قوي البنية أسمر اللون قاتم الشكل ٠ جال بنظره من فوق المنصة، وحملق بنا نحن المقاتلين الواقفين بالصف ، فاغرورقت عيناه من شدة الحماس ، فاخفض نظره برهة ثم رفع عينيه وقال بصوت مختنق : أيها الرفاق الاعزاء !

وكانت على وجنتيه دموع تتقاطر ، ويبدو أنه لم يكن شاعرا بدموعه ، ووقف متأملا يحدق ببصره بنقطة ثابتة برهة من الزمن ، ثم تابع كلامه بصوت مدو وهو يجفف

دموعه وقال : أيها الرفاق الاعزاء ! لن أنسى هذا اليوم المؤثر ٠٠ لن أنسى ما رأيت هنا وسمعت وتعلمت ٠ انني أريد أن أعيش معكم ٠٠٠ الا أن الماريشال كيم ايل سونغ قد طلب مني العودة الى القرية ، لانه وجد أن بامكاني أن

أفيد هناك أكثر من فائدتي في بقائي هنا معكم ، لذلك فاني سوف أهبط الى القرية ٠ ولكنني سوف أخلف قلبي هنا ٠٠٠ أيها الرفاق الاعزاء ، أرجو أن تطردوا اللصوص اليابانيين خارج بلادنا بأقرب وقت ممكن ٠ سوف أطبق عمليا ما تعلمته ها هنا كما سوف أنفذ تعاليم الجنرال كيم ايل سونغ وأعاهدكم بأن أبذل كل جهد أستطيعه ، وبأن أكون مفيدا فعالا٠٠٠ ثم رفع يديه فوقرأسه وعقدهما وهزهما بشدة ، وكرر العهد على أنه سوف ينفذ أوامر الماريشال كيم ايل سونغ ومقرراته دونما خطأ ٠

وشعرت بأن قلبي يشتعل حرارة وأنا أستمع الى كلمته ، ورسخت العزم والتصميم ، في قرارة نفسي ، على انجاز أهدافنا في طلعتنا التي كنا نخطط لها نحو أرض الوطن ، ولم أكن وحيدا في هذا الشعور ٠٠

وعندما نزل عن السدة ، صافحه الماريشال كيم ايل سونغ ، وشد على يده بحرارة باسما ، ويبدو أنه قال له شيئا ٠

كانت عيون العمال البراقة تتألق بتصميم ٠

هنأنا ممثل الفلاحين ، نحن أيضا ، على انتصاراتنا بلهجة حماسية ، وأبدى تصميمه على تقديم كل ما يستطيع لتوفير التموين لجيش الثورة الشعبية الكورية ٠

وختم مهرجان يوم أيار في الغابة بنشيد جيشالثورة الشعبية الكورية ٠ وبرهن ذلك على وحدتنا العسكرية بين العمال فوق كل أرض ، وبين القوى المقاتلة لجيش الثورة

الشعبية الكورية ٠ وقلبت المنصة الى مسرح عرض عليه المقاتلون بروح عالية مشاهد ورقصات وأناشيد استمرت حتى وقت متأخر ٠

لقد احتفلنا بيوم أيار من كل سنة ، طوال كفاحنا المسلح العنيف ضد اليابانيين ، بروح عالية ، وكان لا بد من أن نحتفل ولو احتفالا بسيطا ، الا أن الاحتفال بيوم أيار من تلك السنة كان أكثرها رونقا وبهجة ، وأوحى لنا بثقة مؤكدة بالنصر ٠

وبعد أيام ، اخترقنا الحدود ، بأمرة الماريشال كيم ايل سونغ ، رغم مراقبة العدو الدقيقة ، بروح لا تقهر ، وركزنا القدم بعزم فوق أرض الوطن الام العزيزة وأنزلنا بالغزاة الامبرياليين اليابانيين الغاصبين الضربة تلو الضربة وهم المتمركزون المحصنون في وطننا رغم جميع وسائل الحماية المتوفرة لهم ٠

وهكذا ، فقد أوحينا الى مواطنينا وأهلنا واخواننا بثقة جديدة راسخة بالتحرير الوطني وبالنصر الاكيد ٠